

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic Of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry Of Higher Education And Scientific Research

UNIVERSITY ABOU BEKR BELKAID - TLEMSEN

Faculty Of Letters And Languages
Department of Arts



جامعة أبو بكر بلقايد * تلمسان *

كلية الآداب و اللغات
قسم الفنون

الشعبة: فنون بصرية
التخصص: دراسات في الفنون التشكيلية
مذكرة تخرج لنيل شهادة الماسترل.م.د.
الموسومة ب:

الأشكال الزخرفية للعمارة الإسلامية في العهد العثماني
جامع الباشا وهران أنموذجا

تحت إشراف:
د. بلبشير عبد الرزاق

إعداد الطالب(ة):
أمير ضياء الدين

لجنة المناقشة:

رئيسا
مشرفا ومقررا
مناقشا

جامعة تلمسان
جامعة تلمسان
جامعة تلمسان

د. تاجوري عبد الإله
د. بلبشير عبد الرزاق
د. خالد خالد

السنة الجامعية: 2024/2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل كما تتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا سواء من قريب أو بعيد في إنجازه وإخراجه إلى النور ونخص بالذكر: الأستاذ المحترم " بلشير عبد الرزاق " الذي لم يخل علينا بنصائحه وتوجيهاته القيمة .

أ- ضياء الدين

الإهداء

﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 105]

إلهي يطيب الليل إلا بشكرك و يطيب النهار بطاعتك .. و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك..

ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك إلهي جل جلالك.

إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة .. و نصح الأمة .. إلى نبي الرحمة و نور العالمين سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام.

إلى أبي العطوف " أمير بن عمر " قدوتي، و مثلي الأعلى في الحياة، فهو من علمني كيف أعيش بكرامة و شموخ.

إلى أمي الحنونة " بوداود نجية " لا أجد كلمات يمكن أن تمنحها حقها، فهي ملحمة الحب و فرحة العمر، و مثال التفاني و العطاء.

إلى إخوتي " معاد، يعقوب " سندي وعضدي ومشاطري أفراحي وأحزاني.

إلى خالتي " سعاد، رشيدة " أنتم العزّ و الحياة السعيدة، و مكانكم في القلب و العين .

إلى جميع الأخلاء " شمس الدين، عبد الصمد، محمد أمين " صداقتكم تشبه الفن، كلما تأملتُها زادت قيمتها.

إلى صديقي و زميلي " موفق محمد فتح الله " جمعنا القدر في صداقة عمر فأسعدني الله بصحبتك و جعلنا إخوة .

إلى زميلتي " مصباحي شيراز سناء " أشعر بأن لدي أكثر من زميلة، بل أخت .

إلى زوجتي المستقبلية "....."

أ- ضياء الدين

مقدمتہ

يمثل الفن المعماري أبرز الدلالات الحضارية المادية التي تعبر عن تقدم الشعوب و رقيها، و تتجلى عن طريقه القيم و المعتقدات الخاصة لكل حضارة إنسانية، و لطالما عبرت الشعوب الحضارية عن ثقافتها ومعتقداتها من خلال الفن المعماري .و قد تميزت العمارة الإسلامية باهتمامها بكافة جوانب الحياة و لهذا نجد تنوع نمط الفن المعماري الإسلامي، فمنها العمارة الدينية مثل المساجد و الزوايا ...و العمارة المدنية مثل القصور، البيمارستانات (المستشفيات) ... إضافة إلى المباني العسكرية مثل القلاع والحصون، الاربطة ..

مع مرور الزمن شهدت العمارة الإسلامية تطورا إلى أن أصبح الفن المعماري الإسلامي من أقوى الفنون في العالم، خاصة في عهد الإمبراطورية العثمانية حيث امتازت العمارة العثمانية بمميزات خاصة و جمالية فاشتهر فيها جماليات الخط و الرسم و الزخرفة فشيئت الجوامع، المدارس، الاسواق، القصور .. و كل هذا من ثمرات النهضة المعمارية العثمانية .

وقد كان للجزائر خلال الفترة العثمانية حظ وافر من الزخارف التي نفذت على هذه المواد، أمثلتها كثيرة تشهد على طبيعة الفترة التاريخية التي عاشتها الجزائر، هذا الانتعاش العمراني و المعماري غير المسبوق يتجلى في العديد من المعالم الدينية، فمدينة الجزائر لا تزال تحتفظ بعدة معالم دينية، مدنية و عسكرية، و نفس الأمر بالنسبة لمدينة قسنطينة، وهران، معسكر و عنابة و غيرها من المدن، و في هذه المعالم نجد النماذج العديدة للزخارف الجصية، التحف الخشبية، الرخامية و البلاطات الخزفية، و كل منها استخدم في مجالات متعددة، بتشكيلات و زخارف متنوعة، و طبيعة الزخارف المنفذة عليها و مواضعها، و هي النماذج التي تبقى بحاجة إلى دراسة مسحية شاملة تقارن فيها مختلف الأعمال الفنية بهذه المدن للخروج بالخصائص و المميزات العامة التي اتسمت بها الزخارف العمائرية بالجزائر خلال الفترة العثمانية .

بناء على ما سبق ذكره ارتأيت التوقف لدراسة أهم المعالم السياحية الدينية بمدينة وهران، و هو جامع الباشا الذي يمثل جوهرة الآثار الإسلامية العثمانية بالجزائر. و يستهدف بحثي التنبيه الى هذا النوع من السياحة الدينية فمن المهم جدا التركيز عليه، لأنه يمثل رافدا مهما لقطاع السياحة، و جعله مورد من موارد البلاد الاقتصادية .

إن اختيارنا لهذا الموضوع هو نابع من إيماننا بأهمية النتائج التي ننشد الوصول إليها، و التي نرى بأن الدراسات الأثرية بالجزائر هي في حاجة ماسة إليها، فضلا عن ضرورة إبراز جمالية هذا التراث المعماري و إثراء رصيدنا المعرفي حول الآثار الإسلامية بصفة عامة، و حول أنماط و أشكال الزخارف العمائرية بالجزائر خلال العهد العثماني بصفة خاصة .

إشكالية البحث :

إن موضوع البحث يتناول إشكالية أساسية مفادها الأنماط والخصائص والمميزات العامة للزخارف العمائرية بالجزائر خلال العهد العثماني، وتحت هذه الإشكالية العامة نطرح التساؤلات التالية :

كيف تميزت العمارة الإسلامية خلال العهد العثماني بتنوع أشكالها الزخرفية ؟ وما هي الدلالات الجمالية و الثقافية لهذه الأشكال ؟

ما هي طبيعة المواضيع الزخرفية التي نفذت على العمائر بالجزائر خلال العهد العثماني ؟

كيف كانت تركيبة الزخارف العمائرية ؟

الفرضيات:

- تميزت العمارة الإسلامية خلال العهد العثماني بتنوع أشكالها الزخرفية، و انعكس هذا التنوع على مختلف عناصر المباني، مثل الواجهات، و القباب، و المداخل، و النوافذ .
- لعبت الأشكال الزخرفية في العمارة الإسلامية العثمانية دورا هاما في تعزيز القيم الدينية، و إبراز القوة و الازدهار، و تعزيز التبادل الثقافي.
- تميز جامع الأباشا بجمالياته المعمارية الفريدة، و تنوع أشكاله الزخرفية، مما يجعله نموذجا بارزا للعمارة الإسلامية العثمانية.
- تعكس الأشكال الزخرفية في جامع الباشا ثقافة و فنون العصر العثماني، و تظهر مهارة الحرفيين المعماريين في تلك الحقبة.

الدراسات السابقة :

إن الدراسات السابقة لهذا الموضوع تناولته من جوانب مختلفة دون تعمق فيه وقد اعتمدت عليها لإنجاز بحثنا هذا، من أهمها نذكر أطروحة دكتوراه لحمدوش زهيرة في الزخارف العمائرية بالجزائر خلال العهد العثماني و كذلك أطروحة دكتوراه لتوامة نعناعة حول تطور فنّ الزخرفة العمائرية بالجزائر خلال العهد العثماني، و أيضا مذكرة مخيرة بن بلة حول المنشآت الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني، مقال الأستاذ علي بوتشيشة حول جامع الباشا بوهران، و أخيرا مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه لمكاس مليكة بعنوان الزخارف النباتية على العمائر الجزائرية في العهد العثماني .

منهجية البحث :

لإنجاز هذه النوعية من البحوث نحتاج إلى المنهج الوصفي التحليلي بالدرجة الأولى و المنهج التاريخي.

الجانب النظري تعرضنا فيه إلى البحث في مختلف الوثائق المكتوبة لجمع المادة العلمية سواء كانت عربية، أو أجنبية، أو لها صلة مباشرة بموضوع البحث، أو غير مباشرة .

أما الجانب الثاني فهو الجانب التطبيقي: الذي يخص الدراسة الأثرية، و هو ممثل في الجانب الوصفي التحليلي، و فيه انتقلنا إلى الميدان، و قمنا بمعاينة المعلم التي تم اختياره كنموذج للدراسة، حيث قمنا أولاً بوصفه فينا، ثم اخذ الصور و المقاسات، بعدها القيام بتفريغ زخرفي .

خطة البحث :

تم تقسيم البحث الى فصلين :

الفصل الأول (نظري) تناولت فيه معالم الوجود العثماني في الجزائر بذكر لمحات تاريخية عن الدولة العثمانية النشأة و التطور و التعرف على أهم الاشكال الزخرفية للعمارة الإسلامية و بناء على ما تقدم فإن دراستنا لهذا الفصل ستكون في ثلاث مباحث كل مبحث فحواه ثلاث مطالب . تطرقت في المبحث الأول إلى الوجود العثماني بالجزائر ابتداءا بالجزائر قبل الوجود العثماني ثم قيام الحكم العثماني و ذكر أهم مراحل هذا التواجد .

و لقد تطرقت في المبحث الثاني الذي بعنوان أهم مجالات التي تأثرت بالوجود العثماني بحيث تناول المطلب الأول تأثير العثماني على التراث و الإرث الحضاري، أما المطلب الثاني فكان محتواه عن أوضاع المجتمع الجزائري العثماني بحيث تحدثنا عن الجانب الاجتماعي، الاقتصادي، الثقافي و الصحي و أخيرا المطلب الثالث تناولنا فيه العلاقات الخارجية بالدولة الحديثة .

مقدمة

المبحث الثالث فكان تحت عنوان الأشكال الزخرفية للعمارة الإسلامية في الجزائر بحيث تناول المطلب الأول تعريفا للزخرفة العمائرية مع ذكر أنواعها و المطلب الثاني فكان يتحدث عن دور الوجود العثماني في ثرية الزخرفة العمائرية و أخيرا المطلب الثالث فتناول أهم نماذج هذا التأثير مع تدعيمها بصور من مختلف المعالم الأثرية .

أما الفصل الثاني (تطبيقي) خصصته لدراسة فنية و معمارية لجامع الباشا بوهران و تعرضت فيه إلى بداية الحكم العثماني بوهران ثم دراسة المعلم الأثري (جامع الباشا) من جميع جوانبه مع التركيز على الزخرفة العمائرية المنفذة عليه .

صعوبات الدراسة :

لا يخلو أي بحث من المصاعب و المعوقات، ولا يمكننا الوصول إلى أي هدف إلا بالتحلي بالصبر و الإرادة، و لكن هناك معوقات لا يستطيع الباحث أن يقاومها، فهي تقف حاجزا في إتمام العمل في صورته الكاملة، رغم موضوع الدراسة شامل و عام، فالقارئ للعنوان للوهلة الأولى يظن أنه سهل، لكن الحقيقة الواقعية غير ذلك، لأن الباحث يجب أن يلم بكل الجوانب مع إحترام عدد الصفحات المطلوبة منه، فعندما تعمقت في الموضوع وجدت نفسي في حصرة بين ما يجب ذكره أو استغني عنه رغم أهميته، لكن عدد الصفحات حال دون ذلك، و من بين أهم الصعوبات أعمال الترميم التي واجهتني خلال البحث الميداني، فالمعلم تقريبا موضوع الدراسة قيد الترميم مما وجدت صعوبة في التصوير و اخذ المقاسات.

حرر يوم : 2024/06/11

الطالب : أمير ضياء الدين

الفصل الأول

معالم الوجود العثماني في الجزائر

المبحث الأول : الوجود العثماني في الجزائر

- الجزائر قبل الوجود العثماني

خضعت بلاد المغرب الإسلامي لحكم الدولة الموحدية التي امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى حدود مصر شرقا و من البحر المتوسط وبلاد الأندلس شمالا إلى الصحراء جنوبا، و لكن أعمار الدول كأعمار البشر، فقد عرفت الدولة الموحدية تفكك و سقوط و برزت على أنقاضها عدة دول مستقلة.¹

أما الشمال الإفريقي فقد ظهرت ثلاث دول إسلامية ظلت تتنازع و تحاول كل منها أن توسع رقعتها الجغرافية على حساب جارقتها²، دولة بني حفص بتونس (طرابلس و الشرق الجزائري)، دولة بني مرين (المغرب الأقصى)، دولة بني زيان (بالوسط و الغرب من أرض الجزائر)³.

عرفت هذه الدويلات فترة إزدهار في جميع المجالات غير أنّ الصراعات الداخلية التي نشبت بسبب إدعاء كل دولة خلافة الدولة الموحدية أدت إلى ضعف الإستقرار و تدهور الأوضاع السياسية في المغرب الإسلامي، فتن داخلية فظيعة، تناحر، بل إنتقام و تبعثر الدول و هذا ما أكده أحمد توفيق المدني حيث قال " تفهقر، خوض و إنحلال، حال المغرب العربي في مفتتح القرن 16م " ⁴.

خلال نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر، عاشت بلاد المغرب الأوسط حالة من الإنقسام السياسي والإختيار الإقتصادي والتراجع الحضاري. وأصبحت منقسمة على نفسها إلى عدة إمارات مفككة تتصارع فيما بينها، إستطاعت كل واحدة منها تكوين وحدة سياسية مستقلة

¹ زينب رزوي، العلوم و المعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (07 هـ - 09 هـ / 13 م - 15 م)، أطروحة دكتوراه: تاريخ الوسيط

الإسلامي، كلية العلوم النسائية و الاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2016/2015، ص 3

² شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب)، مكتبة انجلو المصرية، القاهرة، طبعة الأولى، 1977،

ص 26

³ أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمئة سنة بين الجزائر إسبانيا (1492 - 1792)، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع، الجزائر، دون طبعة، دون سنة، ص

64 - 65

⁴ أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص 64

بذاتها حيث ما تكاد تظهر إمارة حتى تحتفي إمارة أخرى، مستغلين بذلك الوضع الذي آلت إليه الدولة الزيانية* حيث لم يلتفت سلاطينها و أمرائها لظروف الصعبة التي تمر بها الدولة¹، بل كانوا يتصارعون فيما بينهم على السلطة و يكيّدون لبعضهم البعض، و كان بعض القادة المحليين يتحالفون مع الإسبان ضد الدولة الزيانية² و يستنجدون بالحفصيين تارة و المرينيين تارة أخرى، و تألت ضدّهم القبائل و استقلت عنهم مناطق عديدة فزاد بذلك تفككها و ضعفهم فبالتالي لم يستطيعوا مقاومة الإسبان عند نزولهم بوهران سنة (ماي/1509م)³.

إنّ الضعف و الإنحلال الذي ميّز مناطق المغرب و خاصة المغرب الأوسط جعلتها عرضة للعديد من الحملات الإستيطانية⁴. و تشجيع و تهافت الدول المسيحية و خاصة إسبانيا للسيطرة على المغرب الأوسط و الإستيلاء عليها .

بعد توحيد إسبانيا المسيحية على أثر الزواج الذي تم بين فرديناد ملك أرغون و الملكة إيزابيلا وارثة عرش قشتالة سمح للإسبان بمحاربة المسلمين و إخراجهم من غرناطة⁵، لذلك يعتبر سقوط

* الدولة الزيانية : يطلق على هذه الدولة أسماء مختلفة : الدولة العيد الوادية نسبة الى بني عبد الواد و الدولة الزيانية نسبة الى زيان والد يغماسن و يقال اول من اطلق عليها هذا الاسم هو أبو حمو موسى الثاني (1382/1359) و سميت بدولة يغماسن باعتباره اول مؤسس لها
- ينظر : عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر و التوزيع، ج 1، د.ط، الجزائر، 2002، ص 30 (هامش رقم 11) .

¹ طاهر التومي، العلاقات الجزائرية الاسبانية ما بين القرنين 16 و 18 على ضوء المصادر المحلية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الحديث و المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2015/2014، ص 11

² عمار بوحوش، التاريخ السياسي في الجزائر من البداية لغاية 1692، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997، ص 46

³ لطيفة بشاري، بن عميرة، علاقة بني عبد الواد (بنو زيان - تلمسان) ببني مرين (المغرب) بين القرن 13/16 م، جامعة الجزائر 2، أفكار و آفاق، العدد 3، 2012، ص 70

⁴ عزيز سائح أكثر، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1409-1989، ص 17

⁵ عائشة عطاش و آخرون، الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها، المركز الوطني للدراسات و البحث، الجزائر، 2007، ص 11

غرناطة* و فرار بعض الأندلسيين إلى شمال إفريقيا احد أسباب تعقب الإسبان لمنطقة المغرب الأوسط و بدأ بعملية الإلتفاف بكشوفهم الجغرافية¹.

تبعاً لوصية الملكة إيزابيلا** بغزو بلاد المغرب و جعل المغاربة على الدين النصراني، قام الإسبان بتوجيه نيران مدافعهم لمهاجمة السواحل الجزائرية بداية بالهجوم على ميناء المرسى الكبير و استيلاء عليه سنة 1505م².

بعد احتلال المرسى الكبير تطلّعوا لضم وهران و توسيع قاعدتهم، و هي مدينة تحظى بموقع إستراتيجي أكسبها أهمية بالغة، حيث إنطلقت من إسبانيا حملة مكونة من ثلاثة و ثلاثين مركبا حربيًا وواحد و خمسين زورقا على متنها خمسة عشر ألف جندي³، قاموا باقتحام المدينة و مهاجمة سكانها بوحشية لا نظير لها و قتلوا آلاف الرجال و أسروا أضعفهم و أسالوا الدماء حتى إحمرت مياه البحر .
عقب احتلال وهران توجهت أنظار الاسبان باتجاه مدينة بجاية و التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، مثلها مثل دولة بني زيان من جراء الصراع على العرش الذي كان جاريا بين الأمير عبد الرحمان الحفصي و ابن أخيه عبد الله⁴.

* غرناطة : معناها بالاسبانية " الرمانه " و هي شعارها التاريخي الذي مازال ماثلا على باب قصبة الحمراء في شكل ثلاث رمانيات صخرية كبيرة كانت آخر القواعد الاندلسية التي سقطت في يد النصارى الاسبان - ينظر : عبد الله عنان، الاثار الباقية في اسبانيا و البرتغال(دراسة تاريخية اثرية)، مطبعة التاليف و الترجمة و النشر، ط1912، ص 160

¹ سعد بدر الحلواني، التاريخ الافريقي الحديث، دار الكتب المصرية، مصر، ط 1999، ص 138
** ايزابيلا الأولى الكاثوليكية ملكة قشتالة من مواليد 1404/1451 تزوجت من فريديناك ملك اراغون عملت على إقامة محاكم التفتيش . ينظر : تحليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير و قسم التاريخ، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2007/2006، ص 15

² سعيد بدر الحلواني، المرجع السابق، ص 138
³ أسماء ابلاي، التخرشات الاسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 16م، قراءة في الدوافع و النتائج، مجلة الروافد للبحوث و الدراسات، العدد الثاني، جامعة غرداية، 2018، ص 44

⁴ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر و دور الاخوة بربروس 1512-1543، الاصاله للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 1، 2012، ص 111

في الوقت الذي يكن فيه الاسبان غافلين عما يجري داخل القصر من نزاع فراحوا يتحينون الفرصة لإحتلال المدينة، و هكذا فإنهم ما إن ثبتوا أقدامهم في وهران حتى شرعوا يعدون الحملة لإحتلال بجاية 1510م¹، و جعلها قاعدة انطلاق لإحتلال القل و عنابة و تونس ليسهل عليهم بعد ذلك التحكم في مضيق صقلية، و قطع الطريق على العثمانيين من الوصول إلى غرب البحر المتوسط².

إنّ حقيقة الوجود الاسباني بالموانئ و المدن الجزائرية قد إرتبط بمخطط استعماري واسع النطاق ذلك لأن الامر لم يكن مقتصر على حوض البحر الأبيض المتوسط، بل هذا الأخير كان جزءا في برنامج إسبانيا لغزو الأقاليم و المواقع الإستراتيجية، و مع انها كانت تتحكم في موقع إستراتيجي مهم ألا وهو جبل طارق بإعتباره بوابة المتوسط من الناحية الغربية، غير انها لاحظت أن قره من سواحل المغرب الإسلامي من شأنه ان يقلل من أهميته الخاصة إذا ما برزت سلطات سياسية قوية، لذلك سارع إسبانيا على إحكام قبضتها على اهم النقاط القريبة من جبل طارق، ووقع خيارها على المرسى الكبير و وهران و محاولة توسيع رقعتها باحتلال مدن من الشرق الجزائري كجاية و القل.

- قيام الحكم العثماني

في ضلّ هذا الظلم الحالك استنجد الحاكم الحفصي بالعثمانيين للطرد الجيش الإسباني من بجاية و فعلا استجاب له عروج و إلتحق هو و اخوه خير الدين ببجاية عام 1512 م³، و دبّروا خطة لطردهم لكن عروج لم ينجح بعد حصار بري و بحري دام أسبوعا شاركت فيه القوات الجزائرية التركية. كرزّ عروج مهاجمته للإسبان سنة 1514 م-1515 م بريا و بحريا مستعينا بالسكان البجاويين و جنوده الأتراك و حاصرها مدة من الزمن حتى عام 1513 م⁴، لكنه رأى أنّ محاصرة بجاية و

1 محمد دراج، المرجع السابق، ص 111

2 محمد خيرى فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني على الاحتلال الفرنسي، ط 1، 1969، ص 21

3 صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514 / 1830)، دار هموم للطباعة و النشر و التوزيع، 2012، ص 44

4 فتيحة فرحي، المساجد و العمران في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة،

2016/2017، ص 19

إحتلالها ليس بالامر الهين، فصمم على فتح مدينة جيجل التي كانت بها حامية تابعة لمدينة جنوة الإيطالية التي كانت بها، بعد ذلك توجه عروج الى لجيجل و إستطاع بمساعدة سكانها تحريرها من جنود الإيطالية ثم إستولى الأخوان عروج و خير الدين على مدن كمدية، مليانة، تنس و دلس¹.

نزل الإسبان بناحية باب الواد و بعد يومين حدثت زوبعة بحرية فقرر الإسبان العودة و بعد ذلك الحين خرج عروج رفقة جنوده و هاجمهم فألحق بهم هزيمة و من بعدها توجه هروج سنة 1514م براً إلى تلمسان مليا نداء سكانها، و لما سمع أبو حمو بخبر مجيئه فرّ منها طالبا النجدة من الإسبان بوهران².

إحتل عروج في طريقه قلعة بني راشد وواصل سيره نحو تلمسان فدخلها بدون مقاومة و نصّب ابن أخيه حمو أميرا على تلمسان، و بعد فترة قصيرة قتل أميرها أبا زيان و نصّب نفسه سلطانا على تلمسان³، لكن القوات الإسبانية رفقة أبي حمو الثالث لم تعطي له الفرصة و إستولوا على قلعة بني راشد و قتلوا الحامية التركية التي كانت بها بما فيها الأخ الأصغر لعروج إسحاق، و بعدها سقطت تلمسان في يد الإسبان، فلم يتمكن عروج منهم لقلّة العدد و العدة و فرّ من تلمسان و لحق به الإسبان خارج تلمسان بالواد المالح بنواحي عين تموشنت فدارت معركة بينهم إستشهد فيها عروج و جنوده عام 1518م⁴.

في ذلك الوقت كان خير الدين متواجد بمدينة الجزائر فأدرك أنه لا يستطيع لوحده الاحتفاظ بالجزائر لذا قدم ولاءه للسلطان العثماني سليم الأول، و وضع تحت تصرفه شواطئ البحر الأبيض المتوسط⁵، و قام بإرسال 2000 جندي إنكشاري مزودة بالعتاد العسكري (المدفعية) و 4000

¹ نفولاي افانوف، الفتح العثماني للاقطار العربية (1516 / 1574)، تر : يوسف عطا الله، لادار الفرائي، بيروت، ط1، د ت، ص 102

² عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانة، ط 1، 2002، ص 89

³ عمار عمورة، المرجع نفسه، ص 91

⁴ عمار عمورة، المرجع نفسه، ص 92

⁵ أوزتونايلمار، تاريخ الدولة العثمانية، تر، عدنان محمد سلمان، ج 1، منشورات مؤسسة فيصل، إسطنبول، ط1، 1688، ص 253

متطوع¹، و فتح باب التطوع للراغبين من أهالي الأناطول في الذهاب إلى الجزائر مقابل تحمل الباب العالي تكاليف السفر مقابل إمتيازات².

كما كان يمنح خير الدين رتبة بيلرباي حيث أصبح بموجبه القائد الأعلى للقوات المسلحة و ممثلاً للسلطان العثماني و بذلك دعي للسلطان على المنابر و ضربت السكة بإسمه³، و دخلت الجزائر بصفة رسمية تحت لواء الدولة العثمانية و أصبحت ولاية عثمانية و أول إقليم في شمال إفريقيا⁴.

- مراحل التواجد العثماني

لقد إعتاد المؤرخون على تقسيم الحكم العثماني في الجزائر إلى اربع مراحل هي :

• مرحلة البيلربايات 1518م -1587 م :

يعتبر خير الدين بربروس أول من حمل لقب بايلرباي في الجزائر و يعتبر هذا العصر على أنه أزهى عصور الحكم العثماني بالجزائر⁵، حيث إزدهرت البلاد كما جرى لمهاجري الاندلس في تلك الفترة دور كبير في إزدهار البلاد حيث إنعكس ذلك على جميع مناحي الحياة في صناعة السفن و العمارة، بالإضافة إلى دورهم في الاقتصاد و التجارة⁶. و إستطاع البيلربايات ان يحققوا الوحدة الإقليمية و السياسية للدولة كما إستطاعوا تحرير برج المنار 1529 م من الإسبان، تحرير بجاية عام 1588 م، و إنهاء الوجود الإسباني في تونس عام 1574 م⁷، و أهم مميزات هذه الفترة :

¹ مؤيد محمود المشهداني، سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي، 1518-1830م، مجلو الدراسات التاريخية و الحضارية، المجلد

5، العدد 16، جامعة تكرت، 2013، ص 416

² محمد السعيد عقيب، دور خير الدين بربروس في تثبيت الوجود العثماني في الجزائر، مجلة البحوث و الدراسات، العدد 13، جامعة الوادي، الجزائر،

2012، ص 298

³ مؤيد محمود المشهداني، سلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص 417

⁴ محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 298

⁵ مؤيد محمود المشهداني، سلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص 418

⁶ عبد الله شريط، محمد المليي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البحث، قسنطينة، ط 1، 1965، ص 130

⁷ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 57 - 58

1- دام عهد البيلربايات 70 سنة

2- كان السلطان العثماني يمارس سلطة مطلقة في تعيين الحاكم

3- كانت السلطة في يد طائفة رياس البحر

كما عرفت الجزائر خلال هذه الفترة تأسيس النواة البحرية الجزائرية و التي إستطاعت التصدي

لغارات الصليبية المتتالية و التي اصبح الجزائر هدفا لها ¹.

• عهد الباشوات ² 1587 م - 1689 م :

تمثل هذه المرحلة الثانية من الحكم العثماني بالجزائر حيث كانت فترة حرجة اصبح فيها

إنفصال الجزائر عن الدولة العثمانية هاجسا للسلطين العثمانيين، نظرا للصراع على السلطة بين

البيلربايات و السلطين حيث أصبحوا يطغون على السلطان نفسه، مما دعا إلى ضرورة تقليص نفوذ

هؤلاء الحكام ³

و تميزت هذه الفترة بقصرها رغم المشاكل الكبيرة التي حدثت فيها، حيث إنصرف كل باشا إلى

السلب و النهب و جمع الثروات ⁴، الاستيلاء على الحكم بصفة تدريجية عن طريق ما يسمى بمجلس

الأوجاق ⁵، الذي يتزأسه احد الأغوات .

¹ عبد الحميد بن أشنهو، دخول الاتراك العثمانيين إلى الجزائر، المطبعة الشعبية، د ط، د ت، ص 117

² الباشوات : جمع الباشا و هو في الأصل لقب كبير أمناء العائلات التركية ثم اعطي لقباً للوزير و الوالي او نائبه - ينظر: محمود تامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 117/ 118، دمشق، 2012، ص 367

³ ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 14

⁴ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 58

⁵ الأوجاق : لفظ تركي معناه المكان المعد من طين او القرميد الذي تنفخ فيه و تشتعل فيه النار و تطور ليطلق على جماعة التي يتواجد بها الأفراد في مكان واحد ثم تطور في العصر العثماني، أصبح لقب أصناف ضد السلطة الذين شكلوا قوات عثمانية برية و بحرية - ينظر : مصطفى عبد الكريم

الخطيب، معجم مصطلحات و الألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996 م، ص 53

و تميزت هذه المرحلة بما يلي :

- بروز قوة الرياس (رجال البحرية الجزائرية) إلا أن الدولة الأوروبية تخشى الجزائر و تسعى إلى إقامة علاقات صداقة و تعاون معها .
 - التصادم بين جنود البحرية (الرياس) و جنود القوة البرية (اليوليداش)¹ بسبب الغنائم التي كان يحصل عليها الرياس من جراء غاراتهم على الأساطيل الأوروبية المسيحية².
 - تولي هذا المنصب 30 واليا يدعى الباشا، و عينت عاصمة السلطة كل واحد 3 سنوات من غير إستشارة زعماء المناطق الرؤساء القبائل³.
 - كما أنها عرفت هذه الفترة عدم الاستقرار و الهدوء و يعود هذا لكثرة الباشوات الذين تعاقبوا على حكم البلاد .
- عهد الإغوات 1659 م – 1671 م :

يعتبر هذا العهد من أخطر العهود و ذلك نظرا لزيادة الوضع سوءا أكبر من ذي قبل فمن اهتزاز نظام الحكم إلى الاغتيالات التي كثرت فيها التآمرات التي تحاك ضد الحكام و إقدام قادة الجيش البري (اليوليداش) على خلع الباشا و تعويض هذا القائد بقائد آخر من فئتهم أطلق عليها إسم الأغا⁴.

حكم الأغوات يكون لمدة شهرين ثم يتم عزله و الاتيان بآخر، و حكم لا محالة محكوم عليه منذ البداية بالسقوط و الانهيار فكان معظم الاغوات يموتون إما بالاغتيال او القتل⁵.

¹ اليوليداش : هم فرقة أنشأها خير الدين في بداية حكمه من العثمانيين و المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام و كانت العضوية و الانخراط فيها تمكن صاحبها من الحصول على الامتيازات منها الاعفاء من الضرائب و العفويات و هم يتصفون بالشجاعة و الإقدام - ينظر : مبارك محمد الهلالي، تاريخ الجزائر القديم و الحديث، ج 3، مكتبة النهضة الجزائرية، 1964، ص ص 123-124

² عمار بوحوش، المرجع السابق ن ص 58

³ مؤيد محمود المشهدان، سلوان رشيد رمضان ن المرجع السابق، ص 419

⁴ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 59

⁵ أرزقي شويتام، طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1519 م – 1830 م)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، مجلة التاريخ المتوسطي، مجلد 4، العدد 1، 2022، ص 107

و قد تميزت هذه الفترة بما يلي :

- إضمحلال السلطان العثماني و غياب السيادة العثمانية فيالجزائر و بذلك غنقطعت المساعدات العثمانية بالجزائر¹.

- افتعال الصراعات المحلية بين ضباط الجيش البري و ضباط الجيش البحري، و تدمير أبناء الشعب من الفساد و إنتشار الفوضى و كثرة الاغتيالات في صفوف اللأغوات .

●عهد الدايات 1671 م – 1830 م :

تعتبر فترة الدايات من اهم الفترات التي مرت بها الجزائر، حيث استمرت من سنة 1671-1830م وهي تعادل نصف تاريخ التواجد العثماني بالجزائر، و يمكن أن نطلق على هذه المرحلة بمرحلة الاستقلال الجزائر عن الإمبراطورية العثمانية بحيث أصبحت لها حدود واضحة و جيش منظم و عاصمة معترف بها دوليا².

إستفاد حكام الجزائر من تجارب الحكم السابقة و حاولوا ترضية السلطان العثماني و تقوية مركز الحكم الدايات و تعيين الداى في منصبه مدى الحياة³، و أصبح ينتخب من طرف الديوان العالى (المجلس) الذي صار بمثابة برلمان في عصرنا الحالي .لقد شكل عصر الدايات مرحلة القوة العسكرية و ملامح السيادة الوطنية⁴، حيث كان الدايات هم الذين يعينون الوزراء الذين تتشكل منهم الوزارة، و يبرمون الاتفاقيات الدولية و يعلنون الحرب، و يعقدون المعاهدات السلام⁵.

¹ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 60

² عمار عمورة، المرجع السابق، ص 100

³ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 60

⁴ زهية دياب، وردة برويس، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني، قراء سيوسو تاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد 21،

العدد 01، 2021، ص 175

⁵ عمورة عمار، المرجع السابق، ص 100

باختصار فان فترة حكم الدايات قد تميزت بخصائص يمكن ايجازها فيما يلي :

1- في عهد الدايات تحول الجنود البحرية من جنود مناضلين و مقاتلين ضد القوات المسيحية

المناهضة للاسلام إلى رجال يبحثون عن الغنائم لأنفسهم و للحكام.

2- إهتم الحكام بجمع الثروة من العمليات الحربية في البحر، و عدم الاهتمام بتطوير الدخل من

الثروة الفلاحية و توفير الغذاء للسكان .

3-لقي العديد من الحكام مصرعهم على يد المجموعات المعادية لهم نتيجة اعتمادهم على

الحروب و الصراع الداخلية بين فئات الجيش .

4- تميزت هذه المرحلة بالقضاء نهائيا على الوجود الاسباني في الجزائر و خاصة في سنة 1792م

حيث تمكن القادة الجزائري من طرد الجيش الاسباني من وهران و المرسى الكبير¹.

و أخيرا يمكن القول إن قدوم العثمانيين إلى الجزائر و إلى الشمال إفريقيا عامة، كان إيجابيا في

العهد الأولى إذ تمكنوا من التصدي للأطماع الأوروبية الاستعمارية . كما أنه لم يخلوا من السلبيات

خاصة في العهد الأخير، إذ تضافرت العوامل الداخلية و الخارجية الذي أثرت تأثيرا سلبيا في الحياة

السياسية، مما أدى إلى ضعف الحكام و زواله نهائيا .

¹ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 62

المبحث الثاني : أهم المجالات التي تأثرت بالوجود العثماني

- تأثير الوجود العثماني على التراث و الإرث الحضاري

ترتب على الوجود العثماني في الجزائر تأثيرات كثيرة مست مختلف الجوانب الحياتية (العادات و التقاليد - الفنون الجميلة - الموسيقى و الطرب و أخيرا العمران) و هذا بطبيعة الحال يدخل في إطار الحضارة الإنسانية من باب التأثير و التأثير .

و مما يلي نستظهر أهم هذه التأثيرات :

1- التأثير العثماني على العادات و التقاليد

للمجتمع الجزائري عاداته و تقاليد و أعياده الدينية و احتفالاته مثله مثل الأقطار الاسلامية، و تظهر بصمة العثمانيين في هذه العادات و التقاليد التي تخص الأعياد الدينية .

● عيد الفطر :

بعد ثبوت رؤية الهلال ثبوتا شرعيا يخرج الناس الزكاة فطورهم، و في اليوم الأول من العيد يذهب الناس لأداء صلاة العيد بالمساجد بحيث أن القاضي يكون في الصف الأول و بجانبه الباشا، بعد الانتهاء من الصلاة فإن الامام يحثهم في خطبته على إتقاء الله و شكره و تطبيق تعاليمه، و الدعاء لهم بالخير في الدنيا و توبة لله في الآخرة . ثم يقع التواضع و التواضع بين الأقارب، فإذا زار أحدا دارا من دور أقرابه تقدم له الحلويات مثل الكعك، المقروض، الصامصة، القريوش، الغريبة مصحوبة بالمشروبات من الشاي أو القهوة¹.

بمناسبة هذا العيد ينظم الباي حفلة عشاء تعزف خلالها الموسيقى و في يوم العيد يستطيع كل انسان ان يدخل قصر الباي لكي يهنئه . و في حوالي التاسعة صباحا يركب الباي جواده و يترك المدينة برفقة مماليكه و بصحبة أعيان المدينة و الفلاحين، و دقائق الطبول تتعالى تتبعه أجود خيوله و

¹ هاجر بومدين، عمر بن عطا الله، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية للجزائر تحية العهد العثماني (1792م - 1830م)، مذكرة ماستر، تخصص المغرب العربي المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة احمد دراية أدرار، الجزائر، 2021/2022، ص 45

بغاله، و يكون محاطا بعدد كبير من الأهالي فتطلق سبعة طلقات نارية تحية للباي عند دخوله للمدينة و خروجه منها¹.

● عيد الأضحى :

بعد العيد الفطر الذي يدوم ثلاثة أيام، يأتي العيد الكبير، و يحتفل به بالطريقة نفسها، إلا أن على رب العائلة أن يذبح لكل فرد ذكر من افراد عائلته خروف و يؤكل اللحم مدة ثلاثة أيام كاملة².

● الاحتفال بالمولد النبوي الشريف :

الاحتفال بالمولد النبوي الشريف له أهمية كبيرة عند المسلمين عامة و الجزائريين خاصة، و بالرغم أن "ابن حادوش" يقول بأن الجزائريين يحيون ليلته بقراءة القران و رش ماء الورد و إعداد أكالات شبيهة بالتي تعدها المرأة أثناء ولادتها، لكننا نلاحظ عليه انه فضل الاحتفال الموجود على مستوى مدينة فاس عن الذي يجري في مدينة الجزائر³.

كما أنه يعد عيد كبير بالنسبة للأطفال، فالمدارس و الاحياء كلها مزينة بالاعلام و الازهار، و يخرج الأطفال في مجموعات، حاملين بأيديهم العاب تشبه المسدسات، و يتجولون في الشوارع و الاحياء يسددونها على المارة ليدفع لهم النقود كهدية⁴. و يطلق على هذه العادة اسم "المداهمة".

¹ فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832م - 1837م) ن تر، أبو العيد دودو، دط، وزارة الثقافة ن 2007، ص 86.

² فندلين شلوصر، المرجع نفسه، ص 86

³ ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش، لسان المقال في النبا عن النسب و الحسب و المال، تع : أبو قاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، ص 85

⁴ فندلين شلوصر، المرجع السابق، ص 86

• عادات تخص الزواج :

نظرا لاستحالة الاختلاط بين الرجال و النساء في العهد العثماني، فإذا خرجت المرأة تخرج متحجبة، و كانت هناك وسيلة إتصال أخرى بين النساء هي السطوح لارتباطها ببعضها البعض و بالتالي كان المكان المناسب لاختيار الزوجات هو الحمامات و ذلك باعتبارها مكان ليس للتنظيف فقط و إنما يعد نوعا من إظهار الأزياء، و تبادل الاخبار العائلية و اختيار الزوجات مبدئيا¹.

2- التأثير العثماني في الفنون الجميلة

لم يكن الفن الإسلامي قبل العصر العثماني قد اهتم بالوحدات الدلالية و العناصر الرمزية و ذلك لعدم استخدامه مادة و وسيلة للتعليم الديني و التوعية الاجتماعية ففي العهد العثماني شهدت الجزائر دخول روافد فكرية جديدة و متنوعة أثرت على الثقافة الفنية²، فقد تأسس الفنان العثماني و كذلك الفنانون في المناطق التي خضعت لهم سلما و حربا ببعض الوحدات و العناصر الفنية و جسدوا بطريقة تعبيرية متخذين منها معاني و دلالات فقد تجسدت في منشآت الجزائر³، فظهر الرسم بعد أن كان مفقودا ن و باتت القصور و الأورقة تحمل نقوشا و صور جميلة، تمثل مدنا صغيرة، موانئ، كما صورت مكة بأسلوب يثير العواطف⁴.

إلى جانب ذلك ظهر فن نازح من المشرق يطلق عليه " الأرابسك " و هو نوع من أنواع النقش على الخشب ظهر في مصر تحديدا، و ازدهر بكثافة في العصر الفاطمي، و قد عرف هذا الفن طريقه

¹ عبد الرحمان نواصر، تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر خلال العهد الدايات (1246م - 1830م) مقارنة من خلال الوثائق، أطروحة

دكتوراه، تخصص التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ن جامعة غرداية، 2017/2018، ص 76

² باية بن كحلة، المؤثرات الثقافية في المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و

الاجتماعية، جامعة خيضر بسكرة، الجزائر، 2018/2019، ص 68

³ هيام بريقلي، بريقاي فاطمة الزهراء، الفن في الجزائر أواخر العهد العثماني، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر، كلية العلوم الإنسانية

و الاجتماعية، 2021/2022، ص 75

⁴ باينة بن كحلة، المرجع السابق، ص 68

إلى الجزائر في العهد العثماني حيث تجسد استعماله في العمارة، و في العديد من التحف التي تستعمل كزينة في الأثاث المنزلي¹.

3- التأثير العثماني في الموسيقى و الطرب

ظهرت في الجزائر اثناء العهد العثماني أنواع جديدة من الموسيقى، على غرار فنون الموسيقى و مجالس الطرب الاندلسية، حين انتقل افراد الجيش الانكشاري للجزائر، حيث يصفها وليام سبنسر بأنها : "موسيقى عسكرية بالطبيعة في الدرجة الأولى و هي لذلك تعكس أصولها العثمانية، و تتكون فرقة الاوجاق العسكرية من 27 قطعة، ثمانية من بينها طنانير عريضة تدعى الداوول "daval" يضرب عليها بالاصابع، و هناك 5 آلات نحاسية عريضة تدعى النكاريات "nakkare"، و هناك 10 مزامير مرصعة و بوقان، و هناك زوجان من اللوحات الكفية . أما الطراز الموسيقي فكان من نوع المختار "mahter" و هو طراز شديد الحدة النغمية و أصبح شعبيا².

كانت تعزف الموسيقى التركية في مناسبات مختلفة من بينها : حين يذهب الباي لتسليم الدنوش، فعند خروجه رفقة مركبه " يسيرون جميعا، و قومهم يلعبون بالسلاح، و بين أيديهم النوبة الجزائرية التي أتت مع الاغا تضرب أنغامها فإذا استراح يبعث لهم الاغا احسانهم و الاخرون مقل الزرناجية و الطبالين و خدم الباي فإذا فرغ من ذلك يأتي أصحاب آلة الطرب من الترك و اهل البلاد و المسامع فيضربون دفوفهن عند باب الوطاق و عندئذ يدخل أصحاب الآلة الجزائرية فيجلسون و يضربون الربابة و الكامانجية، و العيدان . أما المناسبة الثانية فهي عند استلام الداوي للخلعة السلطانية، اذ ترافق هذه المراسم النوبة³.

¹ باية بن كحلة، المرجع، السابق، ص 69

² ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع : عبد القادر زيادية، دار القصة للنشر، الجزائر، دط، 2007، ص 121

³ احمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر (1766م - 1791م)، (مسيرته - حروبه - أعماله - نظام الدولة و الحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 113

إن الهدف من عرض هذه الاحداث هو تبيان مدى تنوع ضروب الفن الموسيقي خلال فترة الجزائر العثمانية و إبراز تنوع الآت الموسيقية .

4- التأثير العثماني في العمران

كان العمران في الجزائر يتميز بمميزات عديدة تميزه عن باقي الدول العربية، و خاصة في العهد العثماني حيث بنيت بيوت و قصور جديدة، و ساهم العثمانيين كثيرا في تطوير العمران و الاهتمام به، و يشمل ذلك المنشآت الدينية و الحضارية و حتى العسكرية، فالجزائر تتوفر على ثروة ثمينة من الشواهد الاثرية و المفاخر العمرانية، منها ما هو قديم و بيزنطي و منها ما يرجع للفترة الإسلامية، و يعود في جله الى مآثر الحماديين و المرابطين و الموحدين و المرينيين و الحفصيين و الزيانيين و البعض الاخر الى العهد العثماني¹.

تعطي الحضارة العثمانية الصدارة للعمارة، و هي عمارة تستمد الى المعارف التقنية الضرورية و تتميز بحسب تنظيم المكان و توازن الكتل، بما ان الجزائر من الدول العثمانية فكان لا بد من التأثير بعمرانها مما أدى الى ظهور مظهر معماري فريد و يميز عن باقي الدول العربية و الإسلامية، إنّ المظهر المميز لعمرانها هو تناسبه من الملامح العربية الإسلامية التي تظهر بوضوح حيث تراعي البساطة و خصائص المجتمع الإسلامي و أهمها إلزام الحشمة و الحياء و عدم التطفل على المنازل .

¹ محمد الطيب العقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دط، دار الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر ن 2009، ص 09

– أوضاع المجتمع الجزائري العثماني

1- الأوضاع الاجتماعية

من الناحية الاجتماعية يصعب إحصاء سكان الجزائر أواخر العهد العثماني، فقد اختلفت الروايات و الاحصائيات حول عدد السكان في تلك الفترة، إذ يشير البعض أنّ مجموع السكان لا يتجاوز مليون نسمة بينما هناك آراء أخرى تضخم هذا العدد الى عشرة ملايين نسمة¹.

تميزت التركيبة السكانية لمجتمع الجزائر بتنوع و تعدد اللاناس و هو ما يعرف بالكوسموبولية، فزيادة عن السكان الأصليين (عرب، أمازيغ) وفد إليها عدة عناصر خارجية مثل الأتراك و الأعلاج و الأندلسيين، و يعيش هؤلاء السكان في الأرياف و المدن².

قد قسم المؤرخون مجتمع الجزائر العثمانية الى نوعين هما :

– سكان المدن

إتخذ تنظيمهم الاجتماعي شكلا هرميا مقلوبا أقل فئة منه أكثرها ثروة و تأتي في قمته الطائفة التركية³، إقتصرت معيشتهم على الوظيف العمومي و الحرف و التجارة و بشأنهم كان اغلب الكتابات التاريخية تتفق على توزيعهم إلى فئات أو طوائف إجتماعية، لكل طائفة مميزات التي تعرف بها داخل المجتمع الحضري، رتبت هذه الفئات كما يلي :

¹ ناصر الدين السعدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، دار البصائر، ط3، 2012، ص 39

² حمدان خوجة، المرأة، تر: محمد العربي الزبيدي، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، ص 60

³ ناصر الدين السعدوني، المرجع السابق، ص 40

● فئة الأتراك العثمانيون :

تعتبر فئة الأتراك من الفئات الاجتماعية الجزائرية و ذلك منذ ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م¹، حيث تشكلت النواة الأولى لفئة الأتراك العثمانيين في الجزائر من الجند الانكشاريين و المتطوعين الذين أرسلهم السلطان العثماني سليم الأول إلى خير الدين بربروس²، إلا أنهم احتكروا المناصب السياسية و العسكرية و الإدارية، فتميزوا بالثراء و العزلة و عدم الإختلاط بغيرهم .

● فئة الكراغلة :

تحتل المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي و التي تكونت نتيجة التزاوج بين الجند الانكشاريين و النساء الجزائريات³.

لم يكن للكراغلة الحق في الانتساب الى الجيش أو الحصول على مناصب إدارية، فضلوا بعيدين عن السياسة و السلطة⁴.

● فئة الحضرة :

يحتلون المرتبة الثالثة غي الهرم الاجتماعي، و تضم هذه الفئة أصحاب الحرف و التجار و غيرهم، و هم الذين يعمرن المدينة بصفة دائمة كما كان لهذه الفئة دور إجتماعي و إقتصادي و ذلك لانها فئة محرومة من المهام السياسية⁵، لسيطرة العنصر التركي العثماني على السلطة .

¹ امينة زهير - وردة عززي، الوضع الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني (مرحلة الدايات 1671-1830)، مذكرة الماستر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، قسم التاريخ، الجزائر، 2022/2021، ص 7

² أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري و فعاليته (1519م - 1830 م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 2006/2005، ص 60

³ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 41

⁴ عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر، دار ربحانة، ط1، 2002، ص 74

⁵ شارف رقية، تاريخ الجزائر في العهد العثماني (1519م - 1830 م)، المدرسة العليا للأساتذة طاب عبد الرحمان، الاغواط، الجزائر، مطبوعة بيداغوجية، تخصص تاريخ، قسم تاريخ و جغرافيا، 2023/2022، ص 43

• فئة البرانية :

تتألف من المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر و قسنطينة و تلمسان للإقامة و العمل، فهناك البيسكريون و الجيجليون و الاغواطيون و أعرابيون و كل مجموعة إختصت بمهام و اعمال معينة¹.

• اليهود :

إنّ الجالية اليهودية كان مسموحا لها أن تسيّر شؤونها الخاصة و أن تنظم قضائها و محاكمها باستثناء الحالات التي للمسلمين دخل فيها².

بجيث كان الجزائريون يعاملونهم قبل الاحتلال معاملة اهل الذمة و يعتبرهم المسلمون جيرانا لهم يحق لهم حرية العمل، و حرية المعتقد بل كانوا اليهود ينالون المناصب الرفيعة في الإدارة، و لكن اليهود كانوا يعتبرون انفسهم جالية مستقلة، فلا يشاركون في الدفاع عن البلاد و لا يراعون مصلحة الوطن³.

إنتشر اليهود في كل من تلمسان و قسنطينة و وهران و المدينة و بوسعادة و تواجد البعض منهم في المناطق الريفية و الصحراوية⁴.

• المسيحيون :

تعد الفئة المسيحية في المجتمع الجزائري الإسلامي من العناصر الأجنبية التي تقطن بها و يعرفون بالدخلاء، أما بالنسبة لأهمية هذه الطبقة فقد تكاد تكون منعدمة على عكس باقي الطبقات الأخرى، و تحتوي هذه الفئة على التجار و القناصل¹.

¹ فاطمة الزهراء سالم، التنظيم الاجتماعي في الجزائر أثناء العهد العثماني (1750 م - 1830 م)، رسالة ماستر، جامعة بوضياف المسيلة، الجزائر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 2020/2019، ص 32

² جون وولف، الجزائر و اروبا (1500 م - 1830 م)، تر: أبو قاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار الرائد، 2009، ص 169

³ أحمد توفيق المدني، هذه الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط، ص ص 41-42

⁴ امنة زهير - وردة عززي، المرجع السابق، ص 10

كما عمل البعض منهم في النشاط البحري على السواحل الجزائرية و المزارع و تبيد الطرقات، و قد إستغل الجزائريون هذه الفئة من اجل اكتساب المهارات منهم مثل مهارة صناعة السفن².

- سكان الريف

يمثل سكان الريف الفئة التي تعيش من منتوج أرضهم و مواشيمهم على السواء، ولا يمكن لنا ترتيبهم إلى فئات إجتماعية كما هو الحال بالنسبة لمجتمع المدن، في ظل غياب الهيمنة الحرفية و الصناعية و التجارية داخل التجمعات الريفية ن وإنما يوزع المجتمع الريفي على أساس عرقي وعلى حسب هيمنة الحياة القبلية عليه .

قال حمدان خوجة عن سكان الأرياف ما يلي : " ينقسم البدو إلى طبقتين أو على الاصح إلى نوعين من السكان، فالذين يسكنون السهول هم العرب الحقيقيون و أصولهم من الشرق و ينحدرون من قبائل عربية، أما الذين يسكنون الجبال و الأماكن الوعرة فهم برابرة الحقيقيون الذين مختلف لغتهم عن اللغة العربية³.

و من بين الفئات الاجتماعية المتمركزة في الريف نذكر منها :

• قبائل المخزن :

تعرف قبائل المخزن على أنّها طبقة إجتماعية ريفية ذات صيغة فلاحية عسكرية و إدارية كانت تشكل حلقة وصل بين الحاكم و المحكوم و أبقيت على الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية متماسكة بالريف الجزائري .

يذكر الأستاذ عمار بوحوش : ((أن القبائل المخزنية هي التي تتحالف مع الحكام و تتعاون معهم في جمع الضرائب و المحافظة على الامن مقابل إعفائها من دفع الضرائب))⁴

¹ أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500 م - 1830 م)، الجزء 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص 150

² صالح عباد، المرجع السابق، ص 361

³ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 71

⁴ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 70

و يعرفها ناصر الدين سعيدوني : ((أنها مجموعات سكانية تعمرية، متميزة في أصولها، مختلفة في أعراقها، لها صبغة فلاحية، عسكرية و إدارية، استمدت منها تماسكها، فهذه الصبغة الخاصة التي اكتسبتها قبائل المخزن تتميز بها عن بقية القبائل الأخرى و التي تعتمد في تدعيم كيانها و جمع شملها على رابطة الأصل المشترك و النسب الواحد.))¹

• قبائل الرعية :

هي القبائل التي لم تحظ بأي امتياز من السلطة التركية، و هي التي تدفع الضريبة و الرسوم المختلفة، كما كانت تُفرض عليها أعمال السخرة، كانت وضعيتها أسوء من وضعية تلك القبائل التي لم تكن تخضع للسلطة المركزية لأنها كانت تقطن مناطق وعرة يصعب على القوات التركية ان تتواجد فيها بصفة دائمة².

• الأجواد :

تمثل طبقة الأغنياء و النبلاء الذين فرضوا وجودهم أمام السلطة المركزية العثمانية، كما إعترف العثمانيون بنفوذهم، و تأرجحت العلاقة بين الأجواد و العثمانيين بين الودية تارة و العداء تارة أخرى، كان قادة الاجواد يجمعون الضرائب في مناطق نفوذهم دون تدخل السلطة³.

• القبائل المتحالفة :

كانت هذه القبائل المتحالفة مع البايلك تمثلها أسرة إقطاعية كبرى كأسرة المقراني بمجانة و أسرة بن قانة و غيرها، و كانت تقوم بدور الوساطة بين القبائل المتمردة و السلطة الحاكمة⁴.

حاول البايلك ربط هذه القبائل بالسلطة و إخضاعها لتفوق الحكام و ذلك بإتباع عدة وسائل

منها :

¹ ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، ط2 منقحة، 2009، ص 207

² صالح عباد، المرجع السابق، ص 367

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص 362

⁴ أرزقي شويتم، نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل أُنهياره (1800 م – 1830 م)، دار الكتاب العربي، ط1، 2001، ص 83

- التقرب الى شيوخها و مرابطها و ذوي الرأي منها بإسقاط مطالب المخزنية و تقديم الهدايا مقابل تلك الخدمات .

- شن حملات انتقامية مفاجئة بين الحين و الآخر، و ذلك عندما تظهر من تلك القبائل بوادر الامتناع عن تقديم المطالب المخزنية أو يحاول بعض الزعماء التخلص من رقابة البايك¹.

• القبائل الممتعة (المتقلة) :

هي القبائل المقيمة في الجهات الغائبة و عادة في المناطق الجبلية و الأقاليم الصحراوية و قد سمح موقعها أن تعيش شبه متنقلة عن السلطة الحاكمة².

و من أشهر هذه القبائل قبائل الحضرة، جرجرة، الضرارة بالجزائر، و قد قدر الفرنسيون عددها عام 1830م ب 320000 نسمة من مجموع السكان البالغ عددهم 780000 نسمة³.

و نظرا لابتعاد هذه المجموعات السكانية عن الحكام و عدم اعترافها بسلطتهم فإنّ حكومة الداوي حاولت أن تحد من إستقلالهم و ذلك بإتباع عدة طرق⁴.

منذ الوجود الحكم العثماني بالجزائر تغيرت بنية الفئات الاجتماعية باستمرار، بداية كانت تضمّ الأهالي الجزائريين فقط، و لكن بعد ذلك إنضمت فئات أخرى من الندلبيين و الاتراك، ثم فئة الأسرى، ونتيجة لذلك أصبح المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية مزيجا من سكان تربطهم مصالح إقتصادية و إجتماعية متنوعة.

¹ ناصر الدين سعيدوني - المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 108-109

² أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 83

³ ناصر الدين سعيدوني - المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 109-110

⁴ ناصر الدين السعيدوني، النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص 49

2- الأوضاع الاقتصادية

كان للوجود العثماني تأثير كبير على عدة مجالات العصر الحديث الذي يمثل الاقتصاد أحدها، و لقد تفاعلت عناصر إقتصادية بالجزائر العثمانية و كان لها إرتباطها و تأثيرها على الجانب السياسي و الاجتماعي الإيالة و علاقتها الخارجية، لذلك سنحاول إلقاء الضوء على جوانب من إقتصاد الجزائر خلال العهد العثماني و يشمل بعض النقاط المهمة و التي يمكنها إعطاء فكرة عما اكانت عليه الأوضاع و تتمثل في قطاعات الأنشطة الاقتصادية للإيالة (الزراعة - الصناعة - التجارة) .

• الزراعة :

كان سكان الجبال و الأرياف يمثلون الأغلبية للساحقة في مجتمع الجزائر العثمانية، حيث تراوحت نسبتهم بين 90% و 95 % حسب تقارير بعض المؤرخين و هو ما يعطي إنطباعا بأن النشاط الزراعي هو السائد على إقتصاد الإيالة على الرغم من أن السلطة العثمانية لم يكن لها عناية كبيرة بالشأن الزراعي¹. فرغم ذلك تم إستحواذ عناصر من الإدارة التركية و اتباعها من الجزائريين لاسيما القبائل المخزنية على أجود الأراضي الزراعية، و خصوصا المنتجة للحبوب خاصة في عهد الدايات الأوائل (1671 م - 1724 م)².

و نظرا لغلبة الحياة الجماعية للأراضي فقد كانت القاعدة هي الإنتاج لاشباع حاجيات أفراد العائلة، اما الهدف التجاري فهو مرتبط بتحقيق فائض قصد الحصول على منتجات صناعية و زراعية أخرى ليست متوفرة بالإضافة الى توفير قيمة الضريبة النقدية المفروضة عليهم³.

¹ محمد العربي الزيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1972، د ط، ص 59

² ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1986، ص 32

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص 335

- الإنتاج الزراعي :

لقد تميزت كل منطقة عن أخرى حسب طبيعتها بإنتاج أنواع معينة من المحاصيل، و يعد القمح من أهم المحاصيل في الإيالة حيث كان يُزرع القمح الصلب فقط، و يزرع منه كميات تكفي التصدير، و قد كان صاحب معامل بريطاني مقيم بوهران يرسل عبر مينائها كميات تتراوح بين 7 آلاف و 8 آلاف طن من القمح كل سنة¹، و كانت مناطق وهران و قسنطينة قد عرفت إنتاجا كبيرا للحبوب، و عرفت زراعة الأرز بالأراضي المروية بسهول شلف و مينا²، أما صالح باي بيابك الشرق الذي عرف عهده الإزدهار، فقد قام بزراعة الزيتون و حاول إدخال الأرز و قام ببناء الطواحين المائية³.

يعد الشرق الجزائري عموما من المناطق الهامة لإنتاج الحبوب ذي المردودية العالية من حيث كمية الدقيق⁴، و تعتبر المنطقة الواقعة بين سطيف و قالمة أهم المناطق لإنتاجا للحبوب، في حيث تركزت زراعة الخضر و الفواكه في المناطق الجبلية و السهول القريبة من المدن، كما عرفت بإنتاجها لزيت الزيتون و التين⁵.

أما زراعة الأشجار المثمرة فقد عرفت إنتشارا في مناطق القبائل ذات الطبيعة الجبلية كما إنتشرت البساتين بفحوص المدن الكبرى مثل قسنطينة، عنابة، وهران، تلمسان، البليدة و المدية غير أن مردود فحوص مدينة الجزائر كان الأوفر لإنتاجا لكثرة بساتينها التي بلغت 20000 بستان و مزرعة⁶.

¹ وليام سبينسر، المرجع السابق، ص 143/ 144

² ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي ...، المرجع السابق، ص 35

³ Ernest mercire - histoire de constantine - J - marle et F biron imprimeurs - éditteurs constantine 1903 p 297

⁴ محمد العربي الزيري، المرجع السابق، ص 59

⁵ صالح عباد، المرجع السابق، ص 335

⁶ ناصر الدين السعيدوني، المرجع السابق، ص 335

أما عن المحاصيل الصناعية، بروت زراعة التبغ كأحد أهمها في الجزائر، حيث إتخذت منطقتي الجزائر و عنابة مركزا رئيسيا لها¹. و قد كانت تزرع منه مساحات واسعة، و يعتبر ما يزرع في الجزائر من اجود الأنواع في العالم، حيث يتم تصديره إلى تونس و بعض البلدان المجاورة²، و يشار إلى أن الأندلسيين قد أدخلوا عدة زراعات كزراعة القطن التي تركزت في منطقة مستغانم، و القزازة (إنتاج الحرير) في القليعة و شرشال، كما أدخلوا العناب التي عرفت به منطقة عنابة³، غير ان تأثير الأندلسيين في مجال الزراعة إقتصر على المناطق التلية التي إستقروا بها و لم يشمل باقي المناطق الداخلية⁴، كما عرف الجزائريون زراعة الكتان و يعد كذلك من النوع الرفيع، حتى أنه كان يرسل ضمن هدايا الباب العالي.

يمارس الزراعة أحيانا البعض من القبائل الصحراوية التي نشأت من الباي و يعد تقديمها هدية معتبرة يسمح لهم بدوره بالإستقرار مؤقتا في مناطق التل كما هو الحال بالشلف مثلا، لأجل أن يقوموا بزراعة الحبوب و كانوا يجلبون معهم كميات معتبرة من المنسوجات، الزرابي، الحايك و كذلك العبيد المجلوبين من بلدان إفريقية كالسودان⁵.

¹ صالح عباد، المرجع السابق، ص 335

² محمد العربي الزيري، المرجع السابق، ص 60

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص 335

⁴ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 218

⁵ Walsim esterhazy- de la domination turque dans l'ancienne régence d'alger- lebrairie de charles gosseli - paris -1840- pp 252/253

● الصناعة :

رغم غلبة النشاط الزراعي إلا أن مدن إيالة الجزائر قد شهدت وجود أنشطة صناعية متنوعة شملت أغلب المهن و الحرف التقليدية و اليدوية و التي وصفت بالاتقان و التنوع و التنظيم¹. فقسطنطينة كان بها 33 معملا للدباغة و 167 معملا للأحذية².

و من أهم هذه الصناعات نذكر :

- الصناعة الغذائية :

و تمثلت في أفران الخبز و المطاحن و معاصر الزيتون و تصبير الفواكه، فقد كان في مدينة الجزائر مجمع لأفران البايك يضم 16 فرنا معدة لتحضير خبز 5 آلاف من أفراد الحامية و موظفي الدولة و ظمت مدينة الجزائر وحدها نحو 22 مطحنة مائية و 18 مطحنة هوائية³، و المطاحن كانت تتبع الباي او الداوي و تتواجد بالمدن الكبرى⁴. أما المعاصر الزيتون فتركزت في نواحي جرجرة و الصومام⁵.

- صناعة السفن و الأسلحة :

كان نشاط البحرية و عمليات الجهاد البحري عاملا مهما و محفز لتطور صناعة السفن إذ كانت بعض الموانئ الجزائرية مزودة بورشات لصناعة السفن و القوارب على غرار الجزائر و جيجل و عنابة و قد تصل حمولة السفن إلى 300 طن، كما يمكن تجهيزها بعدد من المدافع يتراوح بين 20 و 30 مدفعا، غير أن هذه الصناعة ضعفت بسبب إعتماها على الأجانب من الفنيين و الأسرى،

¹ ناصر الدين سعيدوني - المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 61

² محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 62

³ ناصر الدين سعيدوني - المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 68

⁴ محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 64 / 65

⁵ ناصر الدين سعيدوني - المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 68

بالإضافة إلى الإعتماد على التجهيزات من الدول الأجنبية خصوصا الإسكندنافية، أو المقدمة في إطار التزام إتجاه الجزائر¹.

أما الصناعة المتعلقة بالأسلحة فترتبط أساسا بصنع البنادق و المدافع و البارود، و تتركز هذه الصناعة في المدن الكبرى كقسنطينة و الجزائر، فقد كان يوجد في الجزائر مصنع لتحضير البارود و آخر لصنع المدافع و القنابل، كما كانت هناك ورشات لصنع البنادق في مناطق بني راشد، جرجرة، القرقور، الحضنة، الزيبان و ميزاب، و تجدر الإشارة الى محافظة العائلات الأندلسية و التركية على صناعة البنادق لاسيما بقلعة بني راشد، و أيضا مساهمة الأرياف في تحضير البارود كما هو الحال في منطقة جرجرة و كذا القبائل الصحراوية غرب بسكرة².

- الصناعة النسيجية :

تركزت هذه الصناعة في عدة مناطق من إيالة الجزائر مثل ندرومة، مازونة، مستغانم، البليدة و الجزائر، حيث تميزت بصناعة الأقمشة القطنية و الكتانية، كما عرفت صناعة المخمل و الحرير على الخصوص تطورات في الجزائر و شرشال بفعل إنتاج الحرير محليا بمنطقة شرشال و تنس، و صار يستورد لاحقا من مدن أزميز و سالونيك و بيروت، و كان الصوف مادة أولية لانتاج العديد من المنتجات المحلية كالاعطية و الجلابيب و الأحزمة و البرانيس بالإضافة إلى صناعة الزرابي و كذا صياغة الملابس³، و تعد صناعة الشاشية و أعمال التطريز من أهم الصناعات النسيج في مدينة الجزائر خلال القرن 16 م⁴، و قد ساهمت العائلات الأندلسية في تطوير صناعة النسيج بشكل كبير .

¹ ناصر الدين سعيدوني - المهدي بوعبدلي، المرجع نفسه، ص ص 65 / 66

² ناصر الدين سعيدوني - المهدي بوعبدلي، ص ص 66 / 67

³ ناصر الدين سعيدوني - المهدي بن بوعبدلي، المرجع نفسه ص ص 68 / 69

⁴ ناصر الدين سعيدوني - المهدي بوعبدلي، المرجع نفسه، ص 70

- الصناعة الجلدية :

تمثلت أساسا في صناعة الأحذية و السروج و لوازم الفرس كاللجام و المحافظ، و تركزت في المدن كالجزائر و قسنطينة و تلمسان، و شغل قطاع الصناعة الجلدية 15 % من اليد العاملة بقسنطينة، فيما بلغ عدد المدايع 33 مدبغة و 167 محلا لصنع الحذية¹.

• التجارة

لقد مارس المجتمع الجزائري في العهد العثماني، نشاطا تجاريا واسعا، حتى أصبح من الدعائم الرئيسية للاقتصاد الجزائري، و قد تجلّى ذلك في العدد الكبير من المحلات التجارية، و الأسواق التي كانت منتشرة في المدن و الأرياف، و كانت التجارة في الجزائر تنقسم إلى نوعين، هما التجارة الداخلية و التجارة الخارجية .

- التجارة الداخلية :

تمر هذه المبادلات التجارية بين مختلف المناطق، سواء كانت زراعية أو صناعية، كانت هناك مراكز تجارية و أسواق رئيسية تمثل نقاط إلتقاء بين هذه المناطق، و كذلك على الطرق الرابطة بينها²، على سبيل المثال كانت هناك أسواق سنوية حيث يتم تبادل منتجات المناطق الجبلية مع منتجات المناطق السهلية، في بوسعادة كان سكان بني عباس يقايضون زيتهم بصوف و في إقليم قسنطينة كان السكان يشترون كميات كبيرة من الشمع و الزيت من بلاد القبائل³، و عندما يأتي الصحراويون إلى مناطق التل بشلف، يتم تبادل الحبوب منتجات صناعتهم مثل (الجلود المدبوغة - و الأقمشة الأروبية) مع سكان مدن بايلك الوهراني، مقابل الحصول على العبيد و الزرايين، حيث يقومون

¹ ناصر الدين سعيدوني - المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 69

² ناصر الدين سعيدوني - المهدي بوعبدلي، المرجع نفسه، ص 73

³ رضوان شافو - عمر مقدم، نظرة حول الأنشطة الاقتصادية في الجزائر العثمانية، مجلة قيس للدراسات الأندلسية و الاجتماعية، جامعة الشهيد لخضر

بالوادي، الجزائر، المجلد 01، العدد 01، ص 71

بصفقات صغيرة من خلال ذلك، ويقومون بعد ذلك بإعادة بيعها في الشرق الجزائري و يجنون أرباحا معتبرة¹.

كانت التجارة موزعة على المدن الكبرى و الأسواق الأسبوعية و الموسمية²، الأسواق الأسبوعية و الموسمية كانت تتواجد أساسا في المناطق الريفية³، فعند بداية الاحتلال كان في منطقة القبائل وحدها 68 سوقا⁴، و تعمدت الإدارة العثمانية إقامة هذه الأسواق في الأرياف التلية و على حدودها المتاخمة للمناطق الصحراوية، أين تتواجد القبائل المخزنية بهدف تسهيل جمع الضرائب و إخضاعها للسلطة العثمانية و نظامها الضريبي⁵.

- التجارة الخارجية :

كانت تعتمد الجزائر في تجارتها الخارجية على المبادلات التي تتم مع الدول الأوروبية و إفريقيا و العالم الإسلامي، فقد كانت التجارة تتم مع أوروبا عبر الموانئ، و كانت المنتوجات المستوردة من أوروبا عبارة عن كماليات أو تجهيزات متعلقة بالجيش و البحرية، وهي عادة بارود المدافع و الأسلحة النارية، خشب البناء و المواد الموجهة للبحرية كالأغطية و الأقمشة و في المقابل تقوم الجزائر بتصدير منتجات زراعية كان أغلبها الحبوب، بالإضافة إلى الأصواف و الجلود و الزيتون و المرجان، و الشموع⁶.

أما التجارة مع تونس و المغرب الأقصى و الأقطار المشرقية الخاضعة للدولة العثمانية فأساسها الكماليات، و منها ما يرتبط برحلة الحج، حيث أنّ موسمها يكون فرصة للممارسة التجارة مع أقطار أخرى، كما كانت مبادلات تجارية مع بلاد السودان و التي كان أساسها الضروريات و الكماليات فلا تمثل سوى نسبة ضئيلة جدا، في المقابل ذلك يتم جلب العبيد و ريش النعام و منتجات سودانية،

¹ رضوان شافو - عمر مقدم، المرجع السابق، ص 72

² ناصر الدين السعيدوني - المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 71

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص 339

⁴ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 237

⁵ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 236 / 237

⁶ صالح عباد، المرجع السابق، ص 342

غير أنّ هذه التجارة ضعفت بشكل كبير بفعل حالة الأمن التي أصبحت عليها الطرق الصحراوية و كذا اعتماد بلاد السودان على المحيط الأطلسي¹، و لعب إلغاء الرق دورا في إضعاف هذه التجارة لاسيما بفعل معاهدة 1815 الداعية إلى إلغاء و تحريم تجارة العبيد².

3- الأوضاع الصحية

لقد شهدت الجزائر منذ بداية الحكم العثماني إلى نهايته فترات صعبة تدهورت خلالها أوضاع الصحية، تاركة آثار سيئة على نمو السكان و أحوالهم الاجتماعية، كما صاحب ذلك ركود إقتصادي و إنكماش عمراني، و إنتشرت الامراض بشكل يثير الانتباه خاصة أواخر القرن 18 م .

من أهم الأمراض و الأوبئة التي كانت تتعرض لها البلاد نجد الطاعون و الكوليرا و الجدري و التيفوس، التي تفتك لأعداد هائلة من البشر، و تسبب في غنخفاض عدد السكان في الجزائر، و تؤثر سلبا على الحياة العامة³.

كان عدم إهتمام العثمانيين بالشؤون الصحية سببا في عدم بناء المستشفيات و مواكبة متطلبات العصر في المجال الصحي و بالتالي نجد السياسية الصحية في الجزائر بقيت على نفس الوتيرة التقليدية و المتمثلة في الحجر الصحي عند ظهور الأوبئة⁴، و الإعتماد على الزوايا التي كانت تأوي العجزة و المرضى و تدأويهم بالأعشاب المعروفة .

لم تكن هناك مهنة للأطباء، إنما الذين يقومون بالعلاج هم غالبا يداوون مرضاهم مستخدمين الجن أو الأرواح، و ليس بالعلم، و أما أعمال الجراحة فيقوم بها الحلاقون الذين يستعملون الكي⁵.

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص 37 / 38

² ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص 39

³ حميد ابن حدوش، الواقع الصحي للجزائر العثمانية من خلال المصادر الأروبية ن مجلة الافاق فكرية، جامعة احمد بن بلة وهران ن الجزائر، المجلد 09، العدد 02، 2021، ص 150

⁴ عبد الرحمن نواصر، تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر خلال عهد الدايات (1246 م / 1830 م) مقارنة من خلال الوثائق، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة غرداية، 2017 / 2018، ص 86

⁵ مؤيد محمود المشهداني - سلوان رمضان، المرجع السابق، ص 433

نلاحظ جراء هذا الإهمال في مجال الصحي تردد على الجزائر مرض الطاعون و الذي ترك بصمات خطيرة على البنية الاجتماعية، إذ شكل هذا الأخير أخطر مرض عانت منه كل الفئات الاجتماعية بالجزائر خلال العهد العثماني كما تعرضت إلى ضرباته الحادة كل العناصر الأجنبية المقيمة بالبلاد¹.

4- الأوضاع الثقافية

كانت الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر تعاني من التدهور قبل ظهور الأتراك العثمانيين، وعلى الرغم من ذلك فإن سياسة الحكم لدى العثمانيين ساهمت في إستمرار هذا التدهور الثقافي و تفاقمه، لم تعط الثقافة في الجزائر العثمانية الأهمية التي منحها السلطة التركية للقطاعات الأخرى، و على رأسها القطاع العسكري، كان ذلك يتناسب مع الظروف العصر التي استدعت الإعتماد على القوة العسكرية.

لقد شكل إختلاط العناصر الاجتماعية في الجزائر العثمانية تمازج و إختلاط بين موروثها الثقافي و الثقافات الوافدة من خارج البلاد فقد تشكل عن ذلك عدد من المدارس الدينية و الفقهية التي إنتشرت في الجزائر لتكون مراكز للثقافة العربية و التي كانت قاعدتها المساجد و الزوايا، كما عمل فيها مجموعة من علماء الفكر و العلم منهم المسلمين المنشغلين بعلوم الفلسفة و الفقه و الأدب و باقي العلوم الأخرى، و كان للزوايا دورا ثقافيا هاما جدا تمثل في النشاط الديني و العلمي فقد تخرج بفضلها عدد من الطلبة، بالإضافة إلى المساجد التي لعبت دورا هاما في تدريس مختلف العلوم، فقد كان للمسجد مكانا للعبادة و مدرسة للتعليم و مأوى للطلبة و عابري السبيل².

¹ قندوز عبد القادر، الوضع الصحي لسكان الجزائر في العهد العثماني، جامعة تيارت، ص 268

² مؤيد محمد المشهداني - سلوان رمضان، المرجع السابق، ص 435

– العلاقات الخارجية بالدولة الحديثة

يمكن أن نقسم علاقات الجزائر الخارجية وفقا لما يلي :

1- العلاقات الجزائرية المغاربية و العربية

• مع الباب العالي :

خلال المرحلة الأخيرة من عهد الداوي، أكد شارل على ديناميكيات العلاقة بين الجزائر العثمانية و الباب العالي، مع التركيز بشكل خاص على التبادل المنتظم للهدايا من الجزائر إلى السلطان العثماني كل ثلاث سنوات، فضلا عن دورها في تعزيز و ترسيخ العلاقات الثنائية، و قد تجسد ذلك في قيام الامبارطورية العثمانية بتوفير شحنة ذخيرة عسكرية إلى الداوي، إلى جانب السماح بتجنيد جنود من الأراضي الخاضعة لولاية الدولة¹.

• مع تونس :

تميزت العلاقة بين الجزائر و تونس في العهد العثماني بتذبذب ملحوظ، حيث تجدها تتراوح بين فترات من السلم و التعاون، و حسن الجوار، و أخرى من التوتر و العداء و الحروب، يعود هذا التناقض بشكل أساسي إلى إدارة السلطة الحاكمة في البلدين أكثر من كونه تعبيرا عن إدارة الشعبين².

• مع المغرب :

تختلف العلاقات الجزائرية المغربية عن نظيرتها التونسية، حيث إتسمت هي الأخرى بعدم الاستقرار و التذبذب، و تناوبت بين فترات من الحرب و التوتر و أخرى من السلم و الهدوء، لعبت التدخلات و الإعتداءات المغربية على الجزائر، سواءا بشكل مباشر أو غير مباشر، دورا رئيسيا في تأجيج التوتر بين البلدين على مرّ التاريخ .

¹ ويليام شارل، مذكرات ويليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر (1816 م – 1824 م) ، تع : إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،

الجزائر، 1982، ص 44

² ويليام سبينسر، المرجع السابق، ص 160

2- علاقة الجزائر الأوروبية

لعبت العلاقة الجزائرية الأوروبية خلال فترة العثمانيين و خاصة في فترة حكم الدايات محورا في تجسيد مصير البلاد، بل كانت السبب المباشر في النهاية المأساوية لتلك الحقبة، إتسمت هذه العلاقات بالعداء و المواجهة، خاصة مع إستمرار الجزائر في ممارسة النشاط البحري، و إتزامها بالسياسة العثمانية، و دخولها طرفا في الصراع الفرنسي - الإنجليزي على مصر (1798م / 1801م)¹.

فمع إحتلال نابليون بونبارت لمصر، وضع مخططا استعمارا يستهدف فرض النفوذ الفرنسي على شمال إفريقيا، بدءا من الجزائر، وقد شكل تقرير العقيد بوتان سنة 1808 إحدى حلقات هذا المخطط .

و بعد سقوط نابليون عام 1814، سعدت الدول الأوروبية إلى إعادة التوازن الدولي من خلال فكرة الوفاق، و تطبيق لمقررات مؤتمرات فيينا (1815م) و إيكس لاشايل (1818م)، و بروتوكول لندن (1816م / 1817م)، وجدت الجزائر نفسها في مواجهة مفتوحة مع غالبية الدول الأوروبية التي لها مصالح في البحر الأبيض المتوسط².

دفع هذا الوضع الدول الأوروبية و في مقدمتها فرنسا و إنكلترا إلى إتخاذ موقف عدائي تجاه الجزائر، بهدف القضاء على نشاطها البحري، و إطلاق سراح الأسرى الأوروبيين، و إلغاء الإتاوات و الهدايا الإلزامية، و المعاملات الخاصة التي كانت يفرضها دايات الجزائر، مقابل ذلك عرضت تلك الدول على الجزائر الحقوق الجمركية و الإمتيازات التجارية .

¹ بلبريوات بن عتو، المرجع السابق، ص 25

² بلبريوات بن عتو، المرجع نفسه، ص 25

المبحث الثالث : الأشكال الزخرفية للعمارة الإسلامية في الجزائر

الزخرفة هي أحد أنماط الفنون التي ظهرت منذ وجود الإنسان على وجه الأرض فهي قديمة قدم الإنسان نفسه، فقد عرفت الشعوب البدائية التي قطن أهلها الكهوف و استلهموا ما يحيط بهم من الطبيعة بحيث زيّنوا و زخرفوا أدواتهم و مختلف حاجياتهم، برسوم و ألوان عضوية، و تلاحقت التطورات الحياتية و الثقافية على مرّ السنين إلى أن وصلت إلى نقطة مضيئة هي الحقبة الإسلامية، التي أبدعت في هذا المجال نتيجة عوامل مختلفة أهمها العامل الديني، و في الحقبة العثمانية أبدع الفنان المسلم في الزخرفة و خاصة في الزخرفة العمائرية .

– الزخرفة العمائرية و أنواعها

يقصد بالزخرفة العمائرية تلك الزخارف أو الحلية السطحية التي تنفذ على العمائر بغرض تزيينها و زخرفتها لإحداث تأثير جمالي يدخل البهجة و السرور و يريح النفوس، و هي في الغالب ما تنفذ على المواد مختلفة، أهمها الجص، الحجارة، الرخام، الآجر، الخشب و الفسيفساء و البلاطات الخزفية، يعتمد المعمار في ذلك على قدراته و مهاراته مستخدما وحدات و عناصر زخرفية مختلفة و متنوعة منها الهندسية و النباتية و الكتابية و غيرها¹.

تعد الزخارف المعمارية عنصر أساسيا في إثراء الفضاءات المعمارية و إضفاء القيمة الجمالية عليها، و تخضع هذه الزخارف لمحددات تشكل هويتها و تميزها، كما تلعب طبيعة المادة المستخدمة في تنفيذ الزخارف دورا هاما في تحديد إمكانياتها، فلكل مادة خصائصها الفيزيائية و الكيميائية التي تحدد قابلية تشكيلها، فالجص يختلف عن الرخام أو الخشب أو الطين أو أي خامة أخرى تستخدم في الزخارف المعمارية .

¹ مطاوع حنان عبد الفتاح، الفنون الإسلامية في نهاية العصر الفاطمي، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط1، 2011، ص 199

تقسم الزخارف العمائرية الإسلامية على نوعين - النوع الأول استمد حليته من إتصاق العنصر الزخرفي به، يتميز بروعة توزيعه و جعل النظر إليه مشتتا لا يقف عند نقطة معينة بل ينقله من نقطة على أخرى، و النوع الثاني يستمد فكرته من العناصر البنائية و المبنى بحد ذاته كالدعائم و العمدة وتيجانها و العقود و القباب، فهي تكسى بزخارف نباتية و هندسية و غيرها ن قد تتناوب في صفحاتها الألوان أو الزخارف أو تتدلى منها المقرصنات أو تبطن بالحصص او البلاطات الخزفية، أو تزخرف أقواسها بفصوص، أو تنحت عليها عليها زخارف الأرابيسك و هكذا فإن هذه العناصر تؤدي وظيفتها المعمارية بالإضافة إلى أنها تكسب المبنى جمالية فنية غاية في الروعة و الجمال¹.

اما الزخارف العمائرية خلال الفترة العثمانية فهي لم تخرج عن إطار هذين النوعين، إلا أنها خطت خطوات كبيرة، حيث تميزت بتنوعها و ثرائها و خضعت لمجموعة من التأثيرات المغربية و المشرقية.

- أنواعها

• الزخارف الجصية :

إن هذا النوع من الزخارف هو أحد أهم أنواع التي تميز الفن و الزخرفة و العمارة الإسلامية، و ذلك لإرتباط هذه الزخرفة بمادة هي لصيقة بفن العمارة أكثر من غيرها من المواد الداخلة في البرامج الزخرفية، التي تعد لأي مبنى ديني او مدني .

شاع إستخدام هذا النوع من الزخرفة المعمارية في كل أقطار العالم الإسلامي و لاسيما في وطننا العربي، و بالذات أقطار المغرب العربي الكبير و الأندلس².

¹ حمدوش زهيرة، الزخارف العمائرية بالجزائر خلال العهد العثماني (دراسة أثرية)، معهد الثار، جامعة الجزائر 2، أطروحة الدكتوراه، 2016/2017، ص 12

² علي مسعود البلوش، مشروع تنظيم و إدارة المدينة القديمة إطرابلس، نماذج من الفنون و العمارة الإسلامية، الزخارف الجصية، المطابع الدولية، لبنان، ط1، 1998، ص 5

قسم العلماء و مؤرخوا الفن الزخارف الجصية إلى ثلاث طرز فنية محددة و التي تمثلت فيما

يلي:

*الطراز الأول : تقرب عناصره النباتية من الطبيعة، أصولها القديمة من الهلليينستينية و الرومانية و البيزنطية، بدون تحوير او تعديل يذكر، و اهم العناصر النباتية هي ورقة العنب الثلاثية و خماسية الفصوص و التورق و الحلزونات، و عناقيد العنب و العناصر الكلسية¹.

*الطراز الثاني : يمتاز بوجود تغيير في معالجة الوحدات الزخرفية، أي تغيير الطريقة و الدقة التي كان يمتاز بها الطراز الأول، كما يمتاز بوجود بعض التحوير و عدم العناية و التجسيم في المنحوتات الجصية النباتية أو الهندسية .

*الطراز الثالث : يعتبر هذا الطراز الأكثر إنتشارا و الذي صار ملمحا لفن الزخرفة الإسلامية بصف عامة، أصبح فيه العناصر الزخرفية محورة تحويرا كاملا، وأصبحت العناصر النباتية بعيدة عن الطبيعة للإقتصاد في الوقت و الجهد، و من خصائص هذا الطراز الإتجاه نحو التسطح و عدم التعمق في العناصر المنحوتة².

• الزخارف الخشبية :

الخشب ما غلظ من العيدان، و الجمع خشب مثل شجرة و شجر، خشب و خشب و خشبان، و الخشب مادة طبيعية تنتجها النباتات على هيئة أشجار متعددة الأحجام و الأشكال، تتألف من خلاياه مختلفة الشكل و المقاس، و الشجرة تتكون من جذور و جذع، و أفرع غليظة و أوراق³.

¹ علي مسعود البلوش، المرجع السابق، ص 6

² علي مسعود البلوش، المرجع نفسه، ص 7

³ عبد الله زاهر عطية، الصناعات الخشبية المعمارية بمدينة جدة في العصر العثماني 1517م/1916م، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الحضارة، قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، جامعة ام القرى، السعودية، 2001، ص 23

يرجع إستعمال الخشب في مجال البناء و الزخرفة و غيرها من المجالات إلى عهود موغلة في القدم لما له من خصائص بالغة لا تعد و لا تحصى، حيث كانت مادة الخشب كثيرة في الأقاليم الإسلامية، و لا تزال فقيرة في الأنواع الطيبة من الخشب و مع ذلك فقد كانت تسد هذا النقص بجلب ما تريده من الخشب الطيب من البلاد الخرى، و أصبح صناعة التحف الخشبية من الميادين البارزة في تاريخ الفنون الإسلامية، و طبيعي أن الزخارف التي حضرها الفنانون على الخشب في فجر الإسلام كانت متأثرة بالزخارف الساسانية و الهيلستينية، ثم تطورت صناعة الحفر على الخشب تطورا تدريجيا حتى أصبح للفن الإسلامي أساليبه الخاصة في هذا الميدان¹.

يتميز الخشب بمنظره الطبيعي و قوة تحمله الكبيرة و المنتظمة و المقاومة للشدّ و الضغط، و سهولة تصنيعه و تشكيله و صقله و تجميعه، و مقاومته للعوامل المناخية و خفة وزنه، و نقله و تشكيله يستطيع النجار أو الفنان ان يحوله بإبداعه و مهارته إلى تحف مزخرفة غاية في الدقة و الجمال².

- الزخارف الرخامية :

رخام بتشديد الرء و فتحها جمع رخم و هو طائر أبقع يشبه النسر في خلقه، و الرخيم من الصوت الرقيق، و الترخيم تليين الصوت و ترقيقه، أما مادة فهو يطلق على حجر أبيض كلسي صلب ينتمي إلى الصخور المتحولة يتكون أساسا من كربونات الكالسيوم المتبلورة الموجودة في الطبيعة او من الكالسييت أو الدولوميت المتحولة طبيعيا أو كلاهما معا³.

¹ زكي محمد حسين، فنون الإسلام، مكتبة العرب، القاهرة، ط 1، 1948، ص 442

² حمدوش زهيرة، المرجع السابق، ص 167

³ حمدوش زهيرة، المرجع نفسه، ص 342 - أنصر : إبن منظور، لسان العرب، المجلد 12، 1956، دار بيروت للطباعة و النشر، ص 234

يرجع إستعمال الرخام في البناء كمادة مهمة و أساسية لما يتميز به من خصائص عالية تتمثل

في ما يلي :

*الصلادة و القوة و القدرة على مقاومة الإجهاد، و هو يبقى أطول فترة ممكنة

*تحمل الضغوط المختلفة الناتجة عن الاحمال الخارجية للمبنى

*مقوم للتآكل و الإنحناء و التأثيرات المناخية

*جمال مظهره الطبيعي

*سهولة تنظيفه و ثبات لونه

*مطاوعته بعض الأنواع من المشغولات، و سهولة تفصيلها وفق الشكل المرغوب به، بالإضافة

إلى سهولة إعادة إستخدامه .

لجأ الفنان إلى إستخدام هذه المادة منذ القدم، و قد وظفها في عدة مجالات عبر العصور،

لتشهد في الحضارة الإسلامية إستعمال واسع النطاق، و في أغراض مختلفة إنشائية و زخرفية، حيث

بلطت به أرضيات المباني و كسبت به أسافل الجدران، و زينت أعاليها بالأفاريز و اللوحات المزخرفة،

و صنعت منه الأعمدة و أطرت به الأبواب و المداخل و النوافذ، و صنعت به المنابر و ذلك المبلغين

و المحاريب و اللوحات التأسيسية، و النافورات و الأحواض و العيون الجدارية و تراكيب القبور و

شواهدها و غير ذلك ¹.

¹ حمدوش زهيرة، المرجع السابق، ص 345

• البلاطات الخزفية :

تشكل البلاطات الخزفية من كلمتين : فأما بالنسبة للأولى فهي مأخوذة من فعل بلط و بلط الدار (بفتح الباء و تشديد اللام و فتحها) : فرشها بالبلاط أو الأجر، و بلط الحائط : سواه و جعله أملسا و البلاط : كل شيء فرشت به الدار من حجر و نحوه، وبلاط الحاكم : حاشيته و مجلسه و قصره، و بلاط الأرض : وجهها او الصلب و كل مستو أملس منها ¹.

اما الخزف فهو لفظ مضاف إلى البلاطات للدلالة على انه نوع المادة التي صنعت منها، و يقصد به، ما صنع من الطين و عولج حراريا، أي سوي بالنار فصار فخارا، و اكتسب صفة المتانة و الصلابة، و الخزف وحدته خزفة، كما أنه لفظ يطلق على الجرار ما شابهها ².

أما اصطلاحا فهي عبارة عن بلاطات خزفية صنعت من عجينة طينية مسامية قابلة للنفاذ، يغطي سطحها الخارجي بلاط زجاجي، يقوم بسد المسامات الموجودة بها، و يمنع تسرب السوائل منها و إليها، و يزيد لها صلابة و تماسكا و لمعانا و جمالا، فضلا عما كان ينقش و يرسم عليها من زخارف متنوعة، و هي ذات أشكال و مقاسات مختلفة، منها البلاطات المربعة أو المستطيلة و السداسية و النجمية السداسية أو ثمانية الأطراف و المتعامدة و غيرها من الأشكال، و قد كانت عادة ما تستخدم في تكسية بعض أجزاء العمائر و المباني على اختلاف أنواعها ³.

- دور الوجود العثماني في ثرية الزخرفة العمائرية في الجزائر

خلال العهد العثماني، اتسمت الزخرفة في بدايتها باستمرار التقاليد السلجوقية، إلا أنها سرعان ما انحرفت عنها تدريجياً لتتجه نحو المملكة النباتية، مستلهمةً من الزخارف الزهرية القادمة من "الشرق الأقصى" و"إيران". تحولت الزخارف النباتية إلى طابع مميز للزخرفة العثمانية ⁴، التي استمرت تستمد

¹ عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط1، 2000، ص 36

² ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ج9، ص 67

³ حمدوش زهيرة، المرجع السابق، ص 538

⁴ حنان عبد الفتاح مطاوع، الفنون الإسلامية الإيرانية و التركية، الإسكندرية ن ط 1، دار الوفاء لندنيا الطباعة و النشر، 2010، ص 151

الإلهام من مصادر أخرى، إضافةً إلى موروث القبائل "التركمانية" الخاص. فظهرت التأثيرات "البيزنطية" أو "الأوروبية" بعد فتح "القسطنطينية"، وكذلك "المصرية" و"الأندلسية - المغربية" القادمة من "تونس" و"الجزائر" و"ليبيا". تمّ جمع كل هذه المؤثرات وإعادة صياغتها في صورة تجسد طراز الفن الزخرفي العثماني، الذي تمّ تصديره لاحقاً إلى مختلف الولايات¹.

تميزت الجزائر خلال الحقبة العثمانية بوفرة ملحوظة في الزخارف المنفذة على مختلف المواد، و تنوعت أشكالها و الإستخدام الغزير و الإعتماد على الألوان بدل النحت، لتشهد على عظمة تلك الحقبة التاريخية و ما صاحبها من نهضة عمرانية و معمارية هائلة تفوق ما عرفته العصور السابقة²، فما تزخر به الجزائر من معالم دينية و مدنية و عسكرية، يزخر أيضاً بأنواع شتى من الزخارف الجصية و التحف الخشبية و الرخامية و البلاطات الخزفية، و تنوعت استخدامات كل من هذه المواد و طرق تشكيلها و زخرفتها، كما تنوعت طبيعة الزخارف المنقوشة عليها و مواضعها .

شهدت الزخرفة العثمانية في الجزائر تطوراً مستمراً عبر القرون، حيث أبرزت اندماجاً بين التأثيرات المحلية و الإسلامية و العالمية، مما أدى إلى خلق أسلوب فريد من نوعه، و يمكن تقسيم هذا التطور إلى مراحل رئيسية :

1. المرحلة المبكرة (القرن 16):

- هيمنت الزخارف السلجوقية، مع استخدام الأشكال الهندسية والكتابات العربية بشكل كبير.
- تميزت هذه المرحلة بالبساطة النسبية، مع تركيز على الزخارف الجدارية والخشبية.

2. مرحلة النضج (القرنين 17 و 18):

- شهدت هذه المرحلة ازدهاراً للفنون في الجزائر، مع ازدياد التأثيرات الإيرانية والمغربية.

¹ توامة نعناعة، تطور فنّ الزخرفة العمائرية بالجزائر خلال العهد العثماني " مساجد قسنطينة أنموذجاً ط، مجلة جماليات، المركز الجامعي أفلو، الجزائر،

المجلد 07، العدد 01، 2020، ص 525

² توامة نعناعة، المرجع نفسه، ص 525

• تميزت بانتشار استخدام الزخارف النباتية، مثل الزهور والأوراق، بالإضافة إلى الزخارف الإيطالية والبيزنطية.

• ظهرت تقنيات جديدة، مثل الزليج والنقش على الرخام، وزخرفة المعادن.

3. مرحلة الانحطاط (القرن 19):

• بدأت الزخرفة العثمانية تفقد بريقها مع بداية التراجع العثماني.

• تأثرت الزخارف بالفنون الأوروبية، وفقدت بعضاً من سماتها الإسلامية.

• قل استخدام المواد الفاخرة، مثل الرخام والزليج، واستبدلت بمواد أقل تكلفة.

4. المرحلة المعاصرة:

• شهدت هذه المرحلة تجددًا للاهتمام بالزخرفة العثمانية، مع محاولات للحفاظ على هذا التراث وإعادة إحيائه.

• يتم استخدام الزخارف العثمانية في التصميم الداخلي والأزياء والحرف اليدوية.

• تُقام المعارض والمهرجانات للاحتفال بالزخرفة العثمانية وتعزيز الوعي بأهميتها.

- بعض نماذج هذا التأثير¹ (الزخارف)

الزخرفة الجصية : شهد العهد العثماني في الجزائر ازدهارًا واسعًا في استخدام الجص في مختلف المباني الباقية حتى يومنا هذا. وتنوعت استخدامات الجص بين وظائفية وزخرفية، حيث طالت مختلف العناصر المعمارية، من الجدران التي اكتسبت بفضل الجص مظهرًا مستويًا وناعمًا، إلى الزخارف المعقدة التي أبدعها الحرفيون بمهارات فائقة.

¹ من إنجاز الطالب

فيما يلي نستعرض أهم المجالات التي وظّف فيها الجص في العمارة الجزائرية خلال الحقبة

العثمانية:

رقم الصورة	المعالم	مجالات الإستعمال	
2-1	مدينة قسنطينة: جامع سوق الغزل	الجدران	01
4-3 6-5 7	مدينة الجزائر: الجامع الجديد، قصر حسن الباشا مدينة قسنطينة: جامع سوق الغزل، جامع سيد الكتاني مدينة معسكر: جامع عين البيضاء .	القباب	02
8 10-9 11	مدينة الجزائر: محراب الجامع الجديد مدينة قسنطينة: محراب جامع سوق الغزل، محراب جامع سيدي الكتاني. مدينة معسكر: محراب جامع عين البيضاء .	المحاريب	03

الزخرفة الخشبية : خلال العهد العثماني في الجزائر، لعب الخشب دورا هاما في البناء والزخرفة، حيث تم استخدامه بكثرة في مختلف المنشآت المعمارية. وشمل ذلك الأبواب والنوافذ والخزائن الجدارية والسقوف والمنابر والمقاعد والروابط الخشبية والدرابزينات والشرفات. ولا تزال الجزائر حتى يومنا هذا تحتفظ بالعديد من النماذج الأصلية لهذه التحف الفنية الرائعة و التي نستعرض أهمها في الجدول التالي:

رقم الصورة	المعالم	مجالات الإستعمال	
12 14-13 15	مدينة الجزائر: منبر الجامع الجديد . مدينة قسنطينة: منبر جامع سوق الغزل، منبر جامع الأخضر. مدينة عنابة: منبر جامع صالح باي .	المنابر	01

17-16	مدينة الجزائر: دكة مبلغ بجامع صفر، دكة مبلغ بالجامع الجديد	دكة المبلغ	02
19-18	مدينة قسنطينة: دكة المبلغ بالجامع الأخضر، جامع سيدي الكتاني .		
21-20	مدينة الجزائر: سقف غرفة قصر حسن الباشا	السقف	03
22	مدينة وهران : سقف قصر الباي .		
24-23	مدينة قسنطينة: سقف دار بن جلول .		

الزخارف الرخامية : هي المجالات نفسها التي نجد الرخام استخدم فيها في الجزائر خلال الفترة

العثمانية، حيث نجده استخدم على نطاق واسع مثلما هو موضح في الجدول الآتي :

رقم الصورة	المعالم	مجالات الإستعمال	
26-25	مدينة الجزائر: قصر حسن الباشا، قصر مصطفى باشا	الأعمدة	01
28-27	مدينة عنابة: أعمدة بيت الصلاة و الصحن بجامع صالح باي .		
29	مدينة قسنطينة: قصر أحمد باي .		
-31-30	مدينة الجزائر: نافورة دار عزيزة، نافورة دار عبد اللطيف، نافورة قصر جنان الارييس حميدو .	النافورات	02
32	مدينة وهران: نافورة قصر الباي .		
33	مدينة قسنطينة: بقصر أحمد باي .		
34			
36-35	مدينة الجزائر: أحواض قصر البارادو، قصر حسن الباشا	الأحواض	03
37	مدينة قسنطينة: أحواض قصر أحمد باي .		

البلاطات الخزفية : ازدهرت الحضارة في الجزائر خلال العهد العثماني، تاركة وراءها إرثا ثقافيا غنيا يتجلى في مختلف المجالات، ومن أهمها الفنون المعمارية، برزت البلاطات الخزفية كعنصر زخرفي هامّ في تلك الحقبة، حيث زينت جدران المساجد والقصور والمنازل، مضافة عليها لمسة من الجمال والروعة.

الصورة	المعالم
38-39-40-41-	جامع سوق الغزل، مدرسة سيدي الكتاني، قصر أحمد باي، ضريح سيد عبد الرحمان
42-43	، جامع معسكر ، الجامع الأخضر.

يسعى هذا الفصل إلى استكشاف مظاهر التطور الفني الزخرفي المميزة التي برزت في الجزائر خلال الحقبة العثمانية، كما تهدف هذه الدراسة إلى فهم التأثير العميق الذي حملته تلك الفترة على مختلف جوانب الحياة، بما في ذلك المجالات الثقافية و الفنية و المعمارية كما شهدت الجزائر تحولات جذرية على المستويات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية، و انعكس ذلك بشكل واضح على كافة أشكال التعبير الفني، بما في ذلك فن الزخرفة الذي حظي باهتمام كبير خلال تلك الحقبة.

الفصل الثاني

دراسة اثرية فنية ومعمارية لجامع الباشا بوهران

المبحث الأول : وهران إبان الحكم العثماني

من خلال التطور التاريخي، تعرضت وهران لتخريب عدة مرات بسبب الصراعات السياسية والقبلية المرة الأولى كانت سنة (297 هـ/909 م) خربت وأحرقت بسبب الصراع بين عدة قبائل وقبيلة بني يسقن إحدى قبائل المدينة لدماء كانت بينهم ورغم تعمير المدينة الموالية (298 هـ/910 م) بأمر من أبي حميد داود، و أودواس بن صولات، عامل تهرت حتى أصبحت أحسن مما كانت، والتخريب الثاني سنة (334 هـ/955 م) من طرف محمد بن علي بن محمد صالح اليفرني في صراعه مع إزداجة حلفاء بني مسقن الذين أجاروهم سابقا وبقيت وهران مخربة سنين ثم عمرت مرات أخرى¹.

- الجانب السياسي

ترتب على الغزو الإسباني لوهران واحتلاله لمواقع عديدة على طول الساحل، بما في ذلك وهران والميرس الكبير، امتداداً زمني طويل ترك بصماته على التاريخ الحديث للجزائر. فمنذ ذلك الحين، شهدت البلاد تحولات سياسية عميقة².

بعد سيطرة الإسبان على وهران وإعادة تأسيسها وتنظيمها، وتأسيس إدارة عسكرية خاضعة لقائد الجيش، اعتبروا وهران والميرس الكبير أرضاً إسبانية. سعى الكاردينال خمينس بجد لاحتلال الساحل الأفريقي بأكمله، فأرسل العديد من الجواسيس إلى تلمسان ووهران والميرس الكبير³ و كان الإسبان يستعينون في حكمهم ببعض العلماء العرب وذلك عن طريق اختيار القبائل المجاورة للبلدتين و المخبرون لأدلاء المدعوون (las mars imchimadas) اي العرب الذين يعتمد عليهم بكل أمان والمعاونون

¹ محمد قواسم (الأوضاع الاقتصادية في وهران في العصر الوسيط) (من خلال نصوص الرحالة العرب)، العدد، 06 مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2010، ص. 3

² عبد القادر فكايير، الغزو الإسباني على السواحل الجزائرية وأثارها 1792-1505م، د ط، دراسة الاثار السياسية و الاقتصادية و الثقافية على الجزائر، دار هومة للنشر و التوزيع و الطباعة، الجزائر، 2012، ص 74

³ عزيز سامح التري، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1989، ص 50

المدعوون العرب الملتزمون (nogataces) و المخبرون الأدلاء المدعوون (las adalides)، أما العرب الآخرون فكانوا يقسمون إلى قسمين القبائل التي هي مستعدة للصلح او تكاد تدعى للصلح والقبائل المعادية لا أمل في إخضاعها للحكم الاسباني¹، أقام الإسبان في وهران والمرسى الكبير نظامًا ملكيًا مشابهًا لما كان موجودًا في مدريد. أطلقوا على هذا النظام اسم "قصر الوالي" نسبةً إلى الوالي آنذاك، الجنرال كورتي شيكا. يُعرف هذا القصر أيضًا باسم "القصر الملكي الصغير". كان للقصر حاشية وبطانة من الخدم الذين كانوا ينفذون أوامر الوالي ويقومون بالمهام السياسية والإدارية.

لعب والي وهران دورًا سياسيًا هامًا خلال فترة حكم الأتراك للجزائر. كان ملوك بني زيان، خاصة عروج وخير الدين، يلجأون إليه طلبًا للمساعدة في مقاومة الغزو التركي، و كان الوالي يرسل لهم المدد والمعونة من الإسبان، الذين سيطروا على الموانئ الرئيسية في غرب الجزائر، مثل المرسى الكبير و وهران، لمدة ثلاثة قرون .

تم تطبيق النظام السياسي والإداري الذي اتبعه المدنيون في وهران والمرسى الكبير على المرسى المغربي الخاضع للسيطرة الإسبانية، مع بعض التغييرات الطفيفة².

- الجانب الاقتصادي:

على الرغم من حكم بني زيان الهش، شهدت وهران خلال هذه الفترة انتعاشًا اقتصاديًا ملحوظًا. اتسعت رقعة المدينة وتعددت مبانيها، بما في ذلك المدارس والحمامات والفنادق والوكالات التجارية. ازدهرت التجارة مع مدن مثل البندقية وجنوة وراقوس ومرسيليا والميرية وبرشلونة. كما لعبت التجارة الصحراوية دورًا هامًا في اقتصاد المدينة . كما ازدهرت فيها صناعات مثل صناعة الصوف، وصناعة الأسلحة (السيوف والخناجر)، وصناعة الأدوات (الخشبية والطينية). وقد أكد كل من حسن الوزان

¹ عزيز سامح أتر، المرجع السابق، ص 51

² المرجع نفسه، ص 52

والشريف الإدريسي على هذا الازدهار العمراني والاقتصادي الذي شهدته المدينة¹، و على الرغم من الهجمات المتكررة و الاضطرابات السياسية التي عانت منها وهران، فقد شهدت المدينة نشاطاً تجارياً وصناعياً واسعاً خلال فترة حكم بني زيان و المرابطين و الحفصيين، و ذلك بفضل توافد المهاجرين من الأندلس . تميزت وهران بتجارة العديد من السلع، مثل العجين، و جلود النعام والأبقار والأغنام، والذهب، والعبيد، والحبوب، والخضروات، وغزل النسيج، ودباغة الجلود، وصناعة السيوف والسكاكين وغيرها .

اجتذبت وهران تجاراً من مختلف أنحاء العالم، بما في ذلك بيزا و البندقية و جنوة و مرسيليا وبلاد الكاتالونيين، كانوا يأتون لشراء السلع التي تشتهر بها وهران، مثل الجلود و الذهب، و يبيع منتجاتهم مثل الأقمشة و الأسلحة و أدوات الخرز و الأدوات الحديدية و الزجاجية و العطور و غيرها.² و نتج عن احتلال الإسبان لوهران والمرسى الكبير لفترة طويلة إقامة علاقات تجارية بينهم و بين السكان المحليين، كان على "العرب المسلمين" - كما أطلق عليهم الإسبان - من الموالين للإسبان دفع أنواع مختلفة من الضرائب و مع ذلك، لم تكن هذه العلاقة الاقتصادية دائماً مفيدة للسكان المحليين، فقد تعرضوا أحياناً لعمليات نهب و غزو من قبل الإسبان، كما قام الإسبان بإثارة الفتنة بين القبائل المتناحرة .

حيث سعى الإسبان خلال السنوات الأولى لتواجدهم في مراكز وهران والمرسى الكبير إلى البحث عن حلفاء لهم من سكان المنطقة الغربية لوهران فبعد ما تمكن الإسبان من احتلال المرسى الكبير سنة 1505م سارعوا إلى فتح سوق تجاري بجوار المدينة المحتلة، وذلك بهدف الاستفادة من المحاصيل الزراعية والحيوانية التي كانت بيدي الأهالي مقابل ما كان لدى الإسبان من الذهب والفضة³.

¹ يحيى بوعزيز، وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 2، 2009، ص 37

² يحيى بوعزيز، المرجع نفسه، ص 39

³ عبد القادر فكايير، المرجع السابق، ص 159

رغم الاضطرابات السياسية التي عانت منها وهران بقيت محافظة على مكائنها كمركز اقتصادي و ثقافي هام . شهدت المدينة خلال القرن الخامس عشر انتعاشًا اقتصاديًا ملحوظًا، و ازدادت اتساعًا لتلبية احتياجات هذا الازدهار . فتم تشييد الفنادق و الوكالات التجارية، و ظل الميدان التجاري مركزًا هامًا للتجارة . كانت تتوافد إليه قوافل الصحراء من الجنوب محملة ببضائع المنطقة، بينما كانت ترسو في ميناء وهران السفن القادمة من مدن أوروبا مثل البندقية و مرسيليا و غيرها. و بفضل موقعها الاستراتيجي، تحولت وهران إلى محطة تجارية هامة على طريق التجارة بين الشمال والجنوب.¹

وقد لخص حسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا الذي زار المدينة قائلا: عن الحياة الاقتصادية " وفيها ستة آلاف كانون..... وبها البنايات والمؤسسات ما تميز به كل مدينة متحضرة..... وكان معظم سكانها من الصناع والحاكة،..... أهلها ظرفاء كرماء يحبون الغرائب. كانت وهران مهبط التجار القطلونيين والجنوبية ومازالت بها دار تسمى دار الجنوبيين لأنهم كانوا يقيمون بها...".²

حيث كانت تجارهم يقيمون فيها بعض الوقت، فعلى سبيل المثال كان التجار البنادقة يبقون لمدة عشرة أيام، وذلك خلال الرحالة الموسمية التي كانت تنطلق من جزيرة ليدو . خلال شهر جويلية من كل سنة . في نطاق هذا النشاط التجاري الذي كان يقوم به التجار الاوربيون كانت تنسج خيوط المؤامرة على مينائي المرسى الكبير و وهران فقد كان بعض التجار يقوم بالتجسس لصالح البلاط الاسباني وفي مقدمتهم التاجر البندقي جيرومينو فيانيل (Geramimaviamelle) الذي كان على اتصال بلكاردينال خمينيس وذكره أن المرسى الكبير هو باب إفريقيا، وأن مدينة وهران تعد اغنى المدن وأجملها بالساحل الافريقي³.

¹ المرجع السابق، ص 135

² حسن الوزان، وصف إفريقيا مج، 2: محمد عجمي ومحمد الأخضر، ط1983، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 30

³ عبد القادر فكايير، المرجع السابق، ص 137

إن تجارة الفلورانسيين الذين حلوا محل البيزانين في القرن الخامس عشر لم تستمر طويلاً، فقد تحدد منذ سنة 1458 مخطط سير الاسطول التجاري الذي عليه ان يسلك طريق بحريا يبدأ من تونس وينتهي بقادش الاسبانية وكان لدى التجار البنادقة نشاط واسعاً، أستمر إلى منتصف القرن السادس عشر. إذ كان لديهم منذ القرن الخامس عشر فنادق في تلمسان و وهران و كذلك بنسبة للجنوبيين¹.

حيث يقول ابن حوقل في كتابه صورة الارض "...وماؤها من خارجها جار عليها في واد عليه بساتين و اجنة كثيرة فيها من جميع الفواكه ...".دون الاشارة الى الغلات الأخرى كالحبوب والثروات الحيوانية وفي ما يخص الصناعة فلم يتطرق الى الإشارة إليها حيث ركز على جانب التجارة بقوله "ومدينة وهران له مثل في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى فقد كنفته الجبال وله مدخل آمن²".

- الجانب الثقافي :

شهدت مدينة وهران نهضة ثقافية وعلمية هائلة، أنجبت نخبة من الفقهاء والمؤرخين الذين أغنوا المكتبة العربية بتراث معرفي غني. احتضنت المدينة العديد من المؤسسات الدينية التي كانت مراكز نابضة بالحركة العلمية والثقافية. لعب الباي "محمد الكبير" دوراً هاماً في دعم العلماء وتشجيعهم على مواصلة أبحاثهم، فقام ببناء مدارس ومساجد في كل من معسكر و وهران لخدمة العلم والعلماء³. كما اهتم برعاية الطلبة ووفر لهم بيئة مناسبة للتعلم، مما جعل وهران وجهةً مفضلةً لحفظ القرآن الكريم وإكمال الدراسات في مختلف العلوم⁴.

¹ عبد القادر فكاي، المرجع السابق، ص 136

² ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1999، ص 79

³ ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 282.

⁴ الأغا بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في اخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن 19 تج: يحي بوعزيز ج 1، دار الغرب الإسلامي،

أ) المدارس والمساجد: كانت المؤسسات الثقافية من المدارس والمساجد والزوايا تابعة للأحباس الدينية وكانت عبارة عن بنايات وأراضي ومحلات تجارية¹.

ب) الأرسقراطية الدينية: هي الفئة المثقفة في مدينة وهران وتتكون من: الأشراف و المرابطون، العلماء، القضاة، و كانت لهم مكانة سياسية و اجتماعية و كانت تدير المدارس و الزوايا².

- الجانب العمراني :

نتج عن الوجود العثماني في مدينة وهران خاصة بعد الفتح الثاني و النهائي لها على يد الباي "محمد الكبير" منشآت عمرانية جديدة، ضف إلى ذلك إن الباي قد تصرف في المنشآت الإسبانية الموجودة سواء بالتعديل أو الهدم النهائي حيث أمر بهدم الأبراج الموالية للبر وهي برج مرجاج و برج رأس العين الكبير و الصغير و برج الويز و برج فراند و برج كالوص (كذا)³ و اشباههم من الأبراج الموالية للبر و عرضه بذلك رفع الضرر عن المسلمين⁴.

و لما حرر محمد الكبير وهران للمرة الاخيرة عام، 1791 خلد هذا الفتح في لوحة خاصة رخامية اثبتت في "البرج الأحمر" وتحمل تاريخ (1206م 1791م)⁵.

كما كتب على بعض حوائط البرج الأحمر تاريخ فتح وهران و من فتحها و أي سلطان و باشا كان الفتح في عهده مع تاريخ دولة لها، كما قام ببناء قبة له سنة (1207هـ/1792م)⁶.

¹ ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2013، م، ص

143

² عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2014، ص 159

³ الأغا بن عودة المازري، المرجع السابق، ص 293

⁴ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 88

⁵ الأغا بن عودة المازري، المرجع السابق، ص ص 294 295

⁶ المرجع نفسه، ص 294

ومن جملة منشآت الباى "محمد الكبير" نجد:

- جامع عثمان بن محمد الكبير: (1799-1800م):

اسسه الباى عثمان بن محمد الكبير عامى 1799-1800م بجوار برج القصبة إلى الشمال، على الحافة الغربية لواد الرحى وخذ عثمان تأسيسه فى لوحة رخامية على جدار منارته المواجهة للقصبة. وتعتبر منارته من المآثر التاريخية الهامة بهذه المدينة، بشكلها المعماري والهندسي الجميلين¹.

- مدرسة خنق النطاح: (1194هـ/1779م-1799م):

بنيت على يد الباى "محمد الكبير" وتقع فى خنق النطاح الذى بها ضريحه، ويقال انها ماتزال قائمة وحولت إلى مسجد باسمه²، و لا يوجد ما يذكر تاريخ تأسيس المدرسة بالضبط سوى انها كانت موجودة أيام الباى "محمد الكبير" الذى حكم خلال الفترة ما بين (1194هـ/1779م-1799م)، تقع فى حي النطاح وتسمى اليوم ب: "جامع محمد الكبير"، وكانت تؤوي الطلبة المجاهدين المرابطين ضد الاسبان، سلبها الاسبان اثناء احتلاله الثانى لمدينة وهران. ولكن تم استرجاعها بعد تحرير المدينة .

¹ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 95

² الأغا بن عودة، المرجع السابق، ص 294 295

المبحث الثاني : جامع الباشا

- موقع الجامع و تاريخ نشأته :

على الضفة اليمنى لوادي الرحي، و بمحاذاة قصر الباى، يتربع مبنى شامخ، يحيط به شارع بن عمر بوتخيل (الذي كان يُعرف سابقًا باسم شارع فيليب) من ثلاث جهات: الشرقية والغربية والشمالية. بينما يحدّه من الجهة الجنوبية شارع "المسجد".

بُني هذا الجامع بأمر من الباشا حسن، وذلك تحليدًا لذكرى فتح مدينة وهران، على يد الباى محمد الكبير، و قد أكد المؤرخ الزباني أحد الكتاب المعاصرين للباى، على ذلك بقوله: "... وقد بنى (يقصد الباى محمد الكبير) الجامع المعزوم للباشا حسن..."¹. كما أشار المؤرخ المزارى إلى ذلك بقوله: "... وبنى أيضًا الجامع الأعظم المعروف الآن باسم جامع الباشا، نسبة إلى حسن باشا..."².

توجد كتابة تذكارية تذكر تاريخ تأسيسه وتعطينا قائمة الحبوس الموقوفة على تسيير الجامع نقشت على لوحة رخامية معروضة الآن بمتحف وهران أحمد زبانة وهي لوحة رخامية مربعة الشكل وتحتوي على ثلاثة عشر سطرًا نصها مكتوب بالخط المغربي³، ومما تضمنه النص :

¹ محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأئيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1399هـ/ 1979 م، ص ص 203 204

² الأغا بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، الجزء الأول، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م، ص ص 294 295

³ خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار 2007-2008 م، ص 87

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما الحمد لله وحده هذا الجامع بناه المعظم الارفع الهمام الانفع مولانا السيد حسن باشا لا زالت اعداء الدين من هيبته تتلاشى بمحروسه وهران خلدها الله دار ايمان وحبس عليها ما يذكر بعد هذا بلغه الله مناه وورزقه ما يتمناه بمنه وحوله امين فمن ذلك الحمام الذي بقربه من جهة الغرب والحانوتان اللتان عند حوانيت السيد الطاهر بن الحاج احمد والحانوت التي بين حانوت سي علي بن عبد القادر وchanوت سي عبد السلام والحانوت التي بين حانوت السيد الحاج المكّي و Chanوت السيد الطاهر بن حاج احمد وchanوت اخر بين حانوت سي عثمان بن خده وchanوت السيد المصطفى عبد الله بن دح و Chanوتان فوق حوانيت السيد الطاهر المشرفي مع Chanوتين بين اربع حوانيت الذمي ياه ولد داود وchanوتان مقابلتان لمنارة الجامع المذكور مع اربع حوانيت ونصف العلي تحد هذه الستة ونصف العلي من جهة البحر حانوت يرفدار ومن جهة الغرب حوانيت سي احمد بن منصور مع الاربعة عشر حانوتا التي تحت حائط الجامع المذكور كما أن الدارين الصغيرتين بزاء الحمام المذكور حبس على الجامع المسطور قيدت هذه الاحباس في أواسط رمضان من سنة 1210 في ولاية المنصور ابي الحسن السيد حسن باشا ايده الله "

يُجمع المؤرخون على أن تشييد الجامع يعود إلى عهد الباي محمد الكبير، بتكليف من حسن باشا، تخليدًا لانتصار فتح وهران، و قد أرسل له حسن باشا مبالغ مالية وفيرة لتغطية نفقات البناء¹. و بحسب رواية المزاربي أنه عُثر على كنز ذهبي دفن أثناء حفر الأساسات، فتم استغلاله أيضًا في تمويل أعمال

¹ الأغا بن عودة المزاربي، المرجع السابق، ص 296

البناء¹، تزعم بعض المصادر الأجنبية أن تمويل بناء الجامع جاء من الأموال المتحصلة من بيع الأسرى المسيحيين².

تُشير المصادر التاريخية إلى أن تشييد الجامع قد بدأ فور تحرير وهران عام 1792م، أي في عام 1207هـ، بإشراف أمين البنائين محمد الشرشالي بن تدبيرت³. وقد استغرقت أعمال البناء أربع سنوات، حيث تم إنجازها عام 1796م، الموافق لسنة 1210هـ. ورغم مرور قرون وتعرضه لعمليات ترميم وتعديلات، إلا أن الجامع حافظ على طابعه المعماري الأصيل.

في أعقاب احتلال وهران عام 1830م، استولى فوج من الجيش الفرنسي على الجامع، و استخدمه كمعسكر عسكري. و ظل تحت سيطرة الفرنسيين حتى عام 1835م، عندما تم إعادته إلى الجزائريين⁴، مع ذلك واصل الجامع أداء وظائفه الدينية خلال تلك الفترة، فقد تم تصنيفه ضمن قائمة المساجد التي تُقام فيها خطب (الجمعة والعيدين)، وذلك حسب التصنيف الذي أصدرته سلطات الاحتلال الفرنسي عام 1851م، والذي كان يعتمد على أهمية المسجد والمدينة التي يقع فيها، كما كان للجامع إمام ومفتي يتقاضيان راتبهما من إدارة الاحتلال⁵.

تخرج من هذا الجامع العديد من العلماء الذين مارسوا الفتوى في المدينة، من أشهرهم حميدة بن القائد عمر، الذي توفي عام 1870م، و الشيخ علي بن عبد الرحمن، الذي توفي عام 1324هـ، كما

¹ الأغا بن عودة المزاري، المرجع نفسه، ص 296

² Fey،Henri-Léon، Histoire d'Oran ; avant، pendant et après la domination espagnole، Edition Dar-el-Gharb، Oran، 2002، P. 283./Pièsse،L. Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie، Librairie Hachette، Paris، 1855، P. 283

³ محمد بن يوسف الزباني، المرجع السابق، ص 204

⁴ Derrien Isidor، Les Français à Oran، depuis 1830 jusqu'à nos jours، Imprimerie J. Nicot، Aix،1886 ،P.29

⁵ حول هذه التصنيفات أنظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ج 4 1998 م، ص ص 338

درس فيه الشيخ حريزي سي الحبيب البخاري، المولود حوالي عام 1830م، و الذي تم إحالته على التقاعد عام 1907م . و في بداية القرن العشرين، شهد الجامع حضور كل من الشيخ رحال منور و الشيخ عبد الرحمن رستان¹. و بعد الاستقلال، واصل الجامع أداء رسالته كمركز علمي و ديني مهم.

تم الكشف عن تشققات في أرضية بيت الصلاة، امتدت لتشمل بعض القواعد والأعمدة، ووصلت حتى بعض القباب. يُرجح أن هذه الأضرار ناتجة عن عدم استقرار الأرضية بسبب تسرب المياه وجمعها تحتها²، و نظراً لتردي حالة بيت الصلاة، و الأضرار الجسيمة التي لحقت به، و التي تشكل خطراً كبيراً على المصلين، فقد تم إغلاقه مؤقتاً يوم 26 مايو 2010م بناءً على قرار من مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف³. و ذلك بهدف فسح المجال أمام مكتب دراسات لإجراء دراسة تقنية شاملة للجامع تمهيداً لترميمه، إلا أن الأعمال المتعلقة بترميمه راوحت مكانها و لم تشهد أي تقدم، و مؤخراً قامت مؤسسة تركية بإجراء دراسة تقنية حول المسجد بغية التكفل بترميمه .

وللعلم فقد صنف الجامع كمعلم تاريخي يوم 6 أوت 1952م، أما مئذنته فصنفت قبل ذلك بتاريخ 29 ديسمبر 1906م، ليعاد تصنيفهما بعد الاستقلال بتاريخ 19 رمضان 1387هـ / 20 ديسمبر 1967م⁴.

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 3، ص ص 111 117

² علي بوتشيشة، جامع الباشا بوهران، مجلة عصور الجريدة، جامعة الجزائر 2، المجلد 7، العدد 27، 2017-2018، ص 183

³ مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، مصلحة الإرشاد والشعائر الدينية والأوقاف، مراسلة موجهة لإمام مسجد الباشا، مؤرخة بتاريخ 2010/05/24

⁴ أمر رقم - 67 281 مؤرخ في 19 رمضان 1387 الموافق ل 20 ديسمبر 1967م يتعلق بالحفريات وحماية الأماكن والآثار التاريخية والطبيعية، ملحق

1، قائمة الأماكن والآثار التاريخية المدخلة في الترتيب بتاريخ 20 ديسمبر 1967م، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 7، السنة الخامسة، الثلاثاء

23 شوال 1387 يناير 23/هـ 1968م، ص 88

- المؤسس :

ينسب التاريخ بناء هذا المعلم إلى الباشا حسن، و ذلك استنادا إلى الكتابات التأسيسية-الوقفية المثبة على جدرانها. إلا أنّ الحقيقة تخالف الظنّ، فالبناء في حقيقة الأمر يعود إلى الباي محمد الكبير. في أواخر الثلاثينيات من القرن الثامن عشر، ولد محمد الكبير في مدينة مليانة¹، و نشأ في كنف والده عثمان الكردي، الذي شغل منصب خليفة في مليانة، ثم أصبح بايا بتيطري²، واجهت عائلة محمد الكبير محنة كبيرة عندما قتل والده في حربه مع ثوار عمور عام 1170 هـ، فتكفل أبو اسحاق إبراهيم الملياني، الذي تولى منصب باي المدينة، برعاية محمد و باقي أفراد أسرته، لم يكتف أبو اسحاق برعاية محمد، بل زوجه ابنته و أشركه معه في أعمال الإدارة، و عندما عين أبو اسحاق بايا لبايليك الغرب، اصطحب معه محمد ليشارك في مسيرة حكمه³.

بفضل ما اتصف به من كفاءة و مهارة في الإدارة، نال محمد الكبير ثقة صهره الباي إبراهيم، الذي عينه عام 1178 هـ الموافق 1764 م قائداً على قبائل فليطة⁴. و ظلّ محمد في هذا المنصب حتى عام 1181 هـ الموافق 1768 م⁵ و تقديراً لإنجازاته، رّفاه الباي إبراهيم في عام 1181 هـ إلى منصب خليفة، حيث أسند إليه مهمة تسيير و إدارة شؤون الرعية في القطاع الشرقي لبايليك الغرب، و اتخذ محمد الكبير مدينة مليانة مقراً له .

¹ ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، م، ص 122

² المزاري، المرجع السابق، ص 290

³ بن سحنون الراشدي، المرجع السابق، ص ص 125 126

⁴ فليطة : هي قبائل مشهورة عربية الأصل، موقعها بين غليزان و تاهرت كان الأتراك يعينون لها قائدا مميزا، لقوتها و خطورتها - أنظر : عتو بلراوات، الباي

محمد الكبير و مشروعه الحضاري : 1797-1779م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002م، ص ص 65 66

⁵ ابن سحنون الراشدي، المرجع السابق، ص 125

بعد وفاة الباى إبراهيم عام 1185 هـ الموافق 1771 م، تولى زمام الأمور من بعده الحاج خليل، و عقب وفاته هو الآخر، عين الباشا محمد عثمان مكانه محمد بن عثمان في 20 جمادى الثانية 1193 هـ الموافق 5 يوليو 1779 م¹.

لم يلبث الباى الجديد أن شرع في تنفيذ إصلاحاته الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية فور توليه زمام الأمور، فقد شهد معسكر عاصمة بايليك الغرب قبل تحرير وهران، أوج عظمتها و أزهى أيامها تحت حكم الباى محمد الكبير الذي مكث فيها من عام 1193 هـ الموافق 1779 م إلى غاية عام 1206 هـ الموافق 1792 م . و خلال تلك الفترة، اهتم الباى محمد الكبير بتشييد المدارس و المساجد و إنشاء المرافق العامة، مما جعلها وجهة للعلماء و قطبًا للتعليم و المعرفة².

يعدّ تحرير وهران والمرسى الكبير أعظم إنجازات الباى محمد الكبير دون منازع. فقد ظلت هذه المدينة أسيرة الاحتلال الإسباني لأكثر من قرنين من الزمن . و رغم تحريرها مؤقتًا على يد الباى مصطفى المسراتي عام 1119 هـ الموافق 1708 م، إلا أنها سقطت مجددًا تحت السيطرة الإسبانية عام 1145 هـ الموافق 1732 م . و بفضل براعة الباى محمد الكبير و جيشه الباسل، تمكنوا من استعادة المدينة في يوم الاثنين الخامس من رجب عام 1206 هـ الموافق 29 فبراير 1792 م³، ليجعلها عاصمة لبايليكه .

لفظ الباى محمد بن عثمان الكبير أنفاسه الأخيرة في قيطنة أولاد خديم ببلاد صبيح بالشلف عام 1213 هـ الموافق 1799 م⁴، و ذلك أثناء عودته من الجزائر بعد أداء واجبه الديني . لا تزال ملابس وفاته غامضة، حيث تشير بعض الروايات إلى أنه تعرض للتسميم، بينما يرجح البعض الآخر

¹ الزياتي، المرجع السابق، ص 196 199

² سعيدوني ناصر الدين، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ؛ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 248

³ الزياتي، المرجع السابق، ص 199

⁴ الزياتي، المرجع نفسه، ص 204

وفاته فجأة دون مرض¹، و قد ذهب المؤرخ أحمد الشريف الزهار إلى حد تجريم الباشا حسن، متهما إياه بوضع السم للباي في طعامه².

بعد وفاته، تم نقل جثمان الباي محمد بن عثمان الكبير إلى مدينة وهران، حيث دفن في مدرسة خنق النطّاح التي بناها بنفسه، جاء ذلك بأمر من ابنه و خليفته على حكم القطاع الشرقي للبايليك، عثمان بن محمد، الذي عينه حسن باشا بايا للغرب خلفا لوالده³.

خلف الباي محمد بن عثمان الكبير إرثاً معمارياً غنياً يشهد على اهتمامه بتطوير و تحميل بلاده. فقد شملت إنجازاته ترميم و بناء العديد من المباني الدينية و المدنية و العسكرية في مختلف أنحاء بايليك الغرب⁴، ففي مدينة معسكر، قام بتوسيع جامع السوق و إعادة بناء الجامع العتيق، كما بنى جامع المبايع و المدرسة الملحقة به، و شملت مشاريعه أيضاً تشييد قناطر و سور مشهور و طبانتين للمدافع، إلى جانب قصر فخم، و لم يقتصر اهتمامه على معسكر، بل امتدّ ليشمل مدناً أخرى مثل تلمسان و مستغانم و الجزائر العاصمة، حيث بنى العديد من المساجد و المشاهد و المدارس . و نذكر من بين إنجازاته في تلمسان تجديد المدرستين القديمتين⁵، بينما شملت أعماله في مدينة البرج بناء الجامع الأعظم و جامع الكرط⁶، تعد هذه الإنجازات المعمارية شاهدة على عظمة حكم الباي محمد بن عثمان الكبير و حرصه على توفير بيئة حضارية ملائمة لشعبه.

¹ أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق : أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 63

² Fey H.L Histoire d'Oran..، P.281

³ الزياتي، المرجع السابق، ص ص 204 205

⁴ ابن سحنون الراشدي، المرجع السابق، ص ص 132 135 - أنظر أيضا : الزياتي، المرجع السابق، ص ص 202 204

⁵ ابن سحنون الراشدي، المرجع السابق، ص ص 127 133 و أنظر أيضا : أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب

الصحراوي الجزائري، تحرير و تقديم : محمد بن عبد الكريم، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2004م، ص ص 27 28

⁶ الزياتي، المرجع السابق، ص 204

ترك الباي محمد بن عثمان الكبير بصماته المعمارية واضحة في مدينة وهران أيضا، حيث تشهد على إنجازاته العديد من المعالم البارزة، فقد بنى الجامع الأعظم المعروف باسم جامع الباشا، بالإضافة إلى الحوانيت المجاورة له أسفل المبنى . كما أقام مدرسة في منطقة خنق النطّاح حولها لاحقا إلى مسجد يُعرف باسمه حتى يومنا هذا . و لم يقتصر اهتمامه بالمباني الدينية، بل شمل أيضًا تشييد المئذنة الجميلة لجامع محمد بن عثمان في المدينة القديمة. و يعد القصر الذي يحمل اسمه من أشهر إنجازاته المعمارية في وهران . و له الفضل الكبير في تأسيس المدينة الجديدة على الضفة اليمنى لوادي الرحي، و التي ضمت ثلاثة أحياء رئيسية : حي جامع الباشا، و حي اليهود (درب اليهود)، و حي رحيّ الريح¹، و في عام 1790 م، أسس "فحص القليعية" أمام باب الجيارة، حيث استقرّ فيه السكان القادمين من قلعة بني راشد . كما شيّد "فحصي رأس العين" و"فحص خنق النطّاح" جنوبي حصن القديس فيليب، بهدف إيواء القبائل شبه الرحل من ناحية، و استيعاب الفائض من سكان وهران من ناحية أخرى².

المبحث الثالث : دراسة أثرية فنية لجامع الباشا بوهران

المظهر الخارجي

يمتدّ الجامع على محور الشرق والغرب، ويطلّ على عينيّه واجهتان بارزتان، تقع الواجهة الغربية على مستويين (طابقين) بسبب انحدار الموقع كلما اتجهنا غربًا . يتكوّن الطابق الأرضي من مجموعة من القاعات كانت عبارة عن حوانيت بناها الباي محمد الكبير وقفًا للجامع، حيث استُخدم بعضها كميضأة لكنها الآن غير مستخدمة . تقع دار الباي حسن على يمين هذه الحوانيت ملاصقة للجامع في ركنه

¹ Benkada Saddek، Espace urbain et structure sociale à Oran de 1792 à 1831، Mémoire de diplôme d'étude approfondies، université d'Oran، Institut des sciences sociales، Oran، 1988، P.P. 135 - 137

² Benkada Saddek، Op. Cit.، P. 144

الجنوبي الغربي . بينما تبرز في الطابق الثاني نوافذ بيت الصلاة الخلفية، وهي سبع نوافذ مُسيّجة بشبابيك حديدية .

تتميز الواجهة الشرقية للجامع بسور نصف دائري بطول 55 متراً، يزداد ارتفاعه كلما اتجهنا نحو الغرب . وينتهي السور في أعلاه بطنف بارز تزينه شرفات مسننة تتخللها قبيبات ثمانية الأضلاع ذات وظيفة زخرفية .

تُحجب كل من الواجهة الشرقية والجنوبية للجامع ببناءات حديثة تعود في معظمها إلى فترة الاستعمار الفرنسي، مع وجود بعض المباني التي قد تعود إلى الفترة العثمانية، و بسبب هذه المباني، لا يمكن رؤية سوى المئذنة من هاتين الواجهتين، و هي تقع في الركن الجنوبي الشرقي وتتميز بشكلها المضلع (الصورة 44) .

المداخل

يتخلل السور في منتصفه مدخل رئيسي و هو عبارة عن مدخل تذكاري أضيف خلال فترة الاحتلال إلى جانب الحجر التي تتقدمه، يبلغ عرضه 2.63م و يصل ارتفاعه إلى 2.15م، يزينه عمودان يستندان على دعامة مستطيلة الشكل بارزة على الجدار، تعلو هذه الدعامة قواعد مربعة ترتكز عليها أعمدة أسطوانية تحمل تيجان ذو طراز مغربي، كما يرتكز عليها عقد مدبب متجاوز حليت واجهته بمجموعة من الصنج المزخرفة المتقنة بالتناوب بحيث تحمل صنجة زخارف قوامها فروع نباتية متشابكة وانصاف مراوح نخيلية بأسلوب بارز عليها صنجة بيضاء اللون خالية من أي زخرفة، و هكذا بالتناوب أطرت هذه الصنجات باللون البني، أما كوشتي العقد يتكون من مثلثين متماثلين في الشكل و الزخرفة، مما يخلق إحساسًا بالتوازن و الانسجام، تزين هذه المثلثات زخرفة التوريق، وهي عبارة عن زخارف نباتية متكررة تعكس جمال الطبيعة تتوسطها نجمة ثمانية نواتها عبارة عن دائرة ملونة باللون البني و منفذة بأسلوب بارز يحيط بالعقد ثلاثة أشرطة، الشريطان الجانبيان يحملان زخرفة هندسية معقدة، يعلوهما شريط

آخر نقشت بداخله كتابة بالخط المغربي، و يعلو هذا الشريط شريط آخر، نقشت بداخله كتابة بارزة بالخط الكوفي، زينت الفراغات بفروع نباتية و مراوح نخيلية باللون الأبيض .

المدخل الثانوي : يبلغ ارتفاعه 3,66م، و عرضه 2,42م تحيط به أربعة أعمدة تتميز بقاعدة مثمثة و بدن مركب جزئه السفلي مضلع و العلوي حلزوني الشكل ينتهي بتاج يحتوي على صف من أوراق الاكانتس بنهاية معقوفة، أما واجهته فحملت زخارف نباتية جصية البني مزين منفذة بأسلوب بارز، قوام زخارفها أزهار محورة و أوراق و فروع نباتية بنهاية حلزونية، و الأركان زينت بأشكال حلزونية، يرتكز عليها عقد متجاوز مسنن لون بالون البني مزين بزخارف هندسية، مع وجود هلالين تتوسط كل منهما نجمة خماسية.

حجرة المدخل

تقع الحجرة شبه المربعة في وسط رواق الصحن، مما يجعلها نقطة محورية في التصميم، يبلغ طولها 3.43مترًا و عرضها 3.05 مترًا، مما يجعلها مساحة واسعة و مريحة، لها باب غربي و آخر شرقي يفضيان إلى الرواقين، يتطلب الوصول إليهما عبر سلم نازل، مما يوحي بأن الحجرة مرتفعة عن مستوى الرواقين، أما من الناحية الجنوبية للحجرة فتوجد شبه شرفة تطل مباشرة على نافورة الصحن تكتنفها أربعة أعمدة رشيقة تحمل ثلاثة عقود ثلاثية الفصوص، تحمل تيجان تذكرنا إلى حد ما بتيجان قصر الحمراء بغرناطة¹، إلا أن شكل المراوح وطريقة نقشها يبدو مختلفا كثيرا .

تتميز الحجرة بوجود قبة جميلة ذات ثمانية أضلاع، يزين كل ضلع من أضلاع القبة عرقان تتقاطع جميعها عند قمة (مركز) القبة مشكلة من نجمة ثمانية الرؤوس، كما يزين بطن القبة زخارف جصية متنوعة.

¹ Marçais.G. l'Architecture musulmane d'Occident، Arts et Métiers graphiques، Paris،1975،P.

الصحن و الأروقة : خلال فترة الاحتلال تم إضافة صحن مكشوف في الجهة الشمالية للجامع يأخذ شكل نصف قرص¹، قطر دائرته 22.50م، و تقدر مساحته ب 397.4 متر مربع، يوجد على جانبيه الشمالي- الشرقي والجنوبي - الغربي رواقان اثنان يشكلا - إضافة إلى المدخل - نصف دائرة عمقهما 3.67م و ارتفاعهما 3.40 م². (الصورة 45).

يضم الرواق الأيمن سبعة عقود منحنية متداخلة، تُحملها ثمانية أعمدة شامخة، ينطبق ذلك على الرواق الأيسر أيضاً، باستثناء وجود عقد صلب في نهايته، يتضمن مدخلاً إلى غرفة حديثة بداخلها بئر. في قلب الصحن، يتوضع حوض ثماني الأضلاع، تتوسطه نافورة تتوجها قبة صغيرة، متصلة من أحد جوانبها بقاعدة قبة حجرة المدخل، تتركز هذه القبة على عقود مشرشفة من ثلاث جهات تواجه الصحن³، بينما تُزينها قبة ثمانية الأضلاع أخرى، قائمة على منطقة انتقال تتكون من مثلثات ركنية ذات حزوز، و يعلو هذه القبة الأخيرة عمود بارز يحمل ثلاث كرات من البرونز و هلالاً .

بلط الصحن بقطع من البلاطات الحديثة، وهو مزين في وسطه بجنيتين صغيرتين كانت في الماضي تأخذ شكل الرتتين . (شكل 1)

بيت الصلاة : للوصول إلى بيت الصلاة، نمر عبر مدخل بارز يتقدم عن الحائط بحوالي 50 سم، عرضه 2.15 متر و ارتفاعه 2.50 متر، يواجه هذا المدخل قبة المدخل الرئيسي، و يتزين بدعامتين مزخرفتين ترتكزان على قاعدتين عاليتين تحملان تيجاناً تشبه التاج الكورنثي، يتوج المدخل عقد نصف دائري مزخرف بشرائف، و يعلوه شريط يحمل نقشاً كتابياً .

¹ علي بوتشيشة، المرجع السابق، ص 187

² علي بوتشيشة، المرجع نفسه، ص 187

³ الجهة الرابعة لهذا الجوسق متصلة بحجرة المدخل من خلال شبه شرفة وقد سبقت الإشارة إليها .

يقابل المدخل الرئيسي مدخل آخر في الجدار الجنوبي لبيت الصلاة، خصص بعد الاستقلال لدخول النساء، يتميز هذا المدخل، الذي يبلغ عرضه 1.55 متر و ارتفاعه 2.50 متر و عمقه 0.67 متر، بتاريخه الخاص، على الرغم من تعرضه لتغييرات جمّة أدت إلى فقدان شكله الأصلي، إلا أن أصالة هذا المدخل لا جدال فيها، خاصة إذا اعتمدنا على المخطط الذي وضعه "رافوازي"¹. (شكل 2)

يتخذ بيت الصلاة شكلاً مربعاً تقريباً، حيث يبلغ طول ضلعه الشرقي 28.05 متراً، و الغربي 28.57 متراً، و الشمالي 27.70 متراً، و الجنوبي 27.60 متراً، و تبلغ مساحته الإجمالية 781.35 متراً مربعاً .

يتكون بيت الصلاة من سبع بلاطات عمودية على جدار القبلة و سبع بلاطات موازية لها، في وسط بيت الصلاة، تقع القبة المركزية ثمانية الأضلاع، حيث يتراوح طول أضلاعها في الداخل بين 3.44 متراً و 3.82 متراً، و يصل قطرها إلى 12.60 متراً، ترتكز هذه القبة على ثمان دعائم و ثمانية أعمدة مزدوجة و ثمانية عقود منكسرة متداخلة، لتشكل في مجموعها مضلعاً ثمانية .

تحيط بالقبة المركزية اثنتا عشر قبة أصغر حجماً، تتراوح أضلاعها من الخارج بين 1.60 متراً و 1.70 متراً، ترتكز جميع هذه القباب على منطقة انتقال تتكون من مثلثات ركنية ملساء، و تخلو جميعها من الزخارف باستثناء القبة التي تقع أمام المحراب، و التي تزين ببلاطات خزفية مُتنوعة، و تتميز هذه القبة المزينة بأربع نوافذ. (شكل 1- الصورتين 46، 47).

¹ علي بوتشيشة، المرجع السابق، ص 188

بالإضافة إلى القباب، استُخدمت الأقبية المتقاطعة لتغطية أروقة بيت الصلاة، و قد برز جمالها و تناغم إنشائها بشكل لافت .

تزين الدكة المساحة أسفل القبة المركزية لجامع الباشا، و تترفع عن أرضية بيت الصلاة بـ 3.05 متر، تتميز الدكة بشكلها المربع المنتظم، حيث يبلغ طول ضلعها 3.02 متر، و تتركز الدكة على أربعة أعمدة رخامية مركبة، تحمل عوارض خشبية تشكل سطحها، و تحيط بالدكة درابزين خشبي مزخرف، يتصل بمدخلها سلم خشبي مكون من عشر درجات . (الصورة 48) .

ظهرت الدكة في جامع الباشا لأسباب وظيفية في المقام الأول، كان المؤذن يقيم الصلاة عليها، ويردد تكبيرات الإمام و تسليمه و عبارة القيام من الركوع، و غيرها من الأمور التي يقتدى بها الإمام في صلاته، كما كان يتم تلاوة القرآن الكريم على الدكة، بالإضافة إلى ذلك، تم تكليف الأشخاص الذين يجلسون على الدكة بمدح النبي صلى الله عليه وسلم¹ .

اختلف موضع الدكة من مسجد إلى آخر، حيث كانت توجد أحيانا في مقدمة بيت الصلاة، وأحيانا أخرى في مؤخرته، وأحيانا في وسطه، و مع ذلك، كانت جميع الدكاك تقع على محور المحراب، كانت الدكاك تصنع عادة من الخشب، و تتميز بدرابزين خشبي، وتقام على أعمدة رخامية، و كان يتم الصعود إليها من خلال سلم خشبي² .

يتكون بيت الصلاة من 16 دعامة ثمانية الأضلاع، تأتي بأحجام مختلفة و يبلغ ارتفاعها 1.90 متر، تم استخدام هذه الدعامات بشكل مستقل أو جنبًا إلى جنب مع الأعمدة، و يضم بيت الصلاة أيضًا 54 عمودًا، من بينها 24 عمودًا مزدوجًا، وهذه الأعمدة من نوعين :

¹ علي بوتشيشة، المرجع السابق، ص 189

² يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الاسلامية، مكتبة مدبولي، مكتبة مدبولي، ط 1، القاهرة، 1999، ص 39

النوع الأول:

- أعمدة ضخمة ناعمة: تتميز هذه الأعمدة بأبعادها الكبيرة و سطحها الناعم، و تتكون من قطعة واحدة مغروسة في الأرض دون قاعدة، يبلغ طولها 1.90 متر و قطرها 0.35 متر، و تزينها تيجان تشبه تيجان الدعامات، تم استخدام ثمانية من هذه الأعمدة جنباً إلى جنب مع الدعامات لحمل القبة المركزية .

النوع الثاني:

- أعمدة مركبة: تتكون هذه الأعمدة من جزئين رئيسيين: جزء سفلي ثماني الأضلاع و جزء علوي حلزوني، يبلغ ارتفاعها 2.45 متر، و تزينها تيجان كورنثية بارتفاع 29 سم، يتكون الجزء السفلي من صف من أوراق الأكانتس، بينما تزين المساحة بين الحلزونات الجانبية بزخرفة نباتية يعلوها هلال يتصل بجزء من الوسادة، يوجد ستة من هذه الأعمدة: اثنان يحيطان المحراب من الجانبين، و أربعة تحمل الدكة .

أهم نوع من العقود المستخدمة في جامع الباشا هو العقد المنكسر المتجاوز،، تم استخدام هذا النوع من العقود في بناء العديد من العناصر داخل بيت الصلاة، بما في ذلك :

- البلاطات: تم تزيين أرضية بيت الصلاة ببلاطات مصنوعة من العقود المنكسرة المتجاوزة.
- عقد المحراب: يزين المحراب عقد من العقود المنكسرة المتجاوزة.
- عقد المدخل الرئيسي: يزين المدخل الرئيسي للجامع عقد من العقود المنكسرة المتجاوزة.
- أروقة الصحن: تم استخدام العقود المنكسرة المتجاوزة لبناء أروقة الصحن.

يقع محراب جامع الباشا في وسط جدار القبلة، و تحيط به عدة أبواب، يوجد باب على يمين المحراب عرضه 1.19 متر و ارتفاعه 3 متر، يؤدي إلى غرفة صغيرة جدا يتم فيها تخزين المنبر، و على يسار المحراب، يوجد باب آخر بالقرب من الركن الشمالي الشرقي عرضه 1.33 متر و ارتفاعه 2.52 متر، يتميز بعقد مدبب .

يوجد باب صغير مصمت في أقصى الحائط الجنوبي، بالقرب من الركن الجنوبي الغربي، يبلغ عرضه 0.91 متر و ارتفاعه 1.72 متر، و يحيط بالباب دعامة مزخرفة بسمك 0.23 متر، ومقوس بعقد نصف دائري، أما النوافذ فتفتح في جميع حيطان بيت الصلاة و عددها 19 نافذة .

يتميز جامع الباشا بتصميمه المعماري الفريد، و الذي ينتمي إلى الطراز العثماني الذي جلبه العثمانيون معهم إلى الجزائر، يتميز هذا الطراز الجديد، و الذي يجسده بيت صلاة جامع الباشا ذو القبة المركزية، بغياب البلاطة الوسطى الواسعة التي كانت سمة مميزة للمساجد الإسلامية، خاصة المساجد المغربية و الأندلسية، ظهر هذا المفهوم لأول مرة في تركيا على يد المهندس المعماري سنان باشا¹، متأثرا بتصميم كنيسة آيا صوفيا في القسطنطينية، سرعان ما أصبح هذا النموذج هو النموذج الأمثل لبناء المساجد .

ومن الملاحظ أيضا غياب الصحن أو الرواق الخارجي في جامع الباشا، وهو عنصر ثابت في معظم المساجد العثمانية في تركيا وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي² .

¹ ولد المهندس المعماري الفذ سنان في نحاو القرن الخامس عشر، و توفي بعد حياة طويلة امتدت 110 من السنين و قد كرس سنان حياته الطويلة للعمارة وقد عايش سنان باشا أربعة من السلاطين العثمانيين وخلف لنا 63 مسجدا و 49 مصلى و 52 مدرسة و 27 قصرا و 31 حماما و 18 ضريحا و 18 خانا و 3 مستشفيات وغيرها - أنظر - حسن باشا، موسوعة العمارة و الآثار و الفنون الإسلامية، أوراق شرقية للطباعة و النشر، المجلد الثاني، ط1، ص 69

² محمد حمزة إسماعيل، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، المجلد الأول، جامعة الكويت، ط 1، 2002، ص 184

يشير غياب هذين العنصرين المميزين للمساجد العثمانية إلى أن المساجد الجزائرية التي تأثرت بالطراز العثماني لم تكن مجرد نسخ طبق الأصل عن المساجد التي بنيت في تركيا، بل تميزت بلمسات معمارية إبداعية تجسد خصوصية العمارة الجزائرية .

المحراب : يزين جدار القبلة في جامع الباشا محراب فريد من نوعه، يتكون من حنية غائرة على شكل خماسي شبه منتظم بعمق 2.10 متر وعرض 2.25 متر، تزين الحنية قبة رشيقة تستند إلى قاعدة ثمانية الأضلاع عارية من الزخرفة، و يفصل بينهما طنف بسيط ذو خطوط مستقيمة، يحيط بالحنية عمودان رخاميان غير ملتصقين تماما، يميلان عقدا منكسرا متجاوزا يتميز بضيق الخناءه . (الصورة 49)

للأسف، فقدت الزخرفة الأصلية للمحراب في جامع الباشا بريقها ولم تعد موجودة، تم استبدالها ببلاط خزفي حديث، تاركة وراءها ذكريات جمالها البائد، لم يبق من الزخرفة الأصلية سوى ثلاث شمسيات مخرمة تعلو إطار المحراب، ويعتقد أنها مصنوعة من الجص .

المنبر : يتميز مدخل المنبر بتصميمه الفريد على شكل صندوق مفتوح من ثلاث جهات، تزينه زخارف هندسية غنية، يزين المدخل عقد مدبب متجاوز، بينما تزين كوشتيته نقوش هندسية تتكون من عنصر الضفيرة المتداخلة، و التي تشكل نجمة ثمانية الرؤوس، ينتهي المدخل بإطار مستطيل تتوسطه زخارف نباتية محرفة تتداخل مع عناصر معمارية على شكل عقود ملساء و مفصصة، تجسد هذه الزخرفة فكرة الكتف والدرج، وهي تقنية زخرفية شائعة في واجهات المآذن المغربية¹ .

يقع المدرج مباشرة بعد باب المنبر و ينتهي عند الغرفة التي يدخل إليها المنبر، يحيط بالمدرج درابزين من جميع الجهات، يتكون من أربع برامق مستطيلة تستند مباشرة إلى الريشتين .

¹ حمدوش زهيرة، المرجع السابق، ص 223

تتكون الريشتان من مثلث قائم مقسم إلى 27 حشوة مربعة متناقص الحجم من الأسفل إلى الأعلى. تتوزع هذه الحشوات على سبعة صفوف، بحيث تحتوي كل صف على عدد أقل من الحشوات من الصف الذي أسفله، حتى تنتهي بحشوة واحدة في القمة، تزين هذه الحشوات بنقوش نجمية ذات اثني عشر ضلعا محاطة بصفيرة مزدوجة .

تزين العوارض الخشبية التي تفصل بين الحشوات المربعة في مدرج جامع الباشا بنقوش جميلة تتكون من عنصر الضفيرة المتداخلة، و التي تحاط بنجمة ثمانية الرؤوس .

تزين قبة مميزة مدخل باب المنبر في جامع الباشا، حيث تقع فوق طنف المدخل، تحاط قاعدة القبة بشرفات مثلثة ناعمة، بينما تعلوها قبة مخروطية مضلعة كما يزين الجزء السفلي من التضييعات بنصف طبق نجمي، تنمو منه زخارف أرابيسك تتكون من فروع مورقة مزينة بمراوح نخلية غليظة وأزهار كأسية، توج القبة بكرة تعلوها هلال.

تم استخدام تقنية الرسم بالألوان المائية واللاكه في تزيين المنبر، تم استخدام اللون الأحمر كأرضية، بينما تم استخدام الألوان الأصفر و الأخضر و الأبيض في زخرفة الوحدات و العناصر الزخرفية، بينما تم استخدام اللون الأسود لتحديدتها .

المئذنة : تقع مئذنة جامع الباشا في الركن الجنوبي الشرقي للجامع، على بعد 5.90 متر من بيت الصلاة، تتميز المئذنة بقاعدة ثمانية الأضلاع ذات شكل أفقي، يبلغ طول ضلعها 1.40 متر، بينما يبلغ ارتفاعها الإجمالي حوالي 35 مترا¹ .

يتم الوصول إلى مدخل مئذنة جامع الباشا من خلال باب يبلغ اتساعه 1 متر و ارتفاعه 2.30 متر، يواجه هذا الباب نواة مركزية على شكل دعامة شبه مربعة بمساحة 1.66 متر × 1.80 متر،

¹ مبروك مهيرس، المساجد العثمانية بوهران و معسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2009، ص 181

يلتف حول هذه الدعامة درج حلزوني صاعد عكس اتجاه عقارب الساعة، يتكون من 147 درجة، يبلغ عرض كل منها 80 سم .

يغطي الدرج الحلزوني داخل مئذنة بسقوف نصف أسطوانية الشكل تتقاطع عند زوايا المنعطفات، تشبه التصميم المعتاد في معظم المآذن الإسلامية، توجد في أعلى كلّ طابق فتحة صغيرة تسمح بدخول الضوء الطبيعي و الهواء، يؤدّي هذا الدرج إلى سطح البرج الرئيسي، حيث يوجد باب صغير بقياس 0.62 متر عرضا و 1.71 متر ارتفاعا، يحيط بسطح البرج حاليا سياج معدني حديث، و يتوسطه جوسق مثنى الشكل بقياس 0.80 متر لطول كل ضلع و 6.30 متر ارتفاعا، كما تزّين الجوانب الثمانية للجوسق في نصفها العلوي شرائط من المربعات الخزفية .

تغطي قمة جوسق المئذنة بقبة مضلعة تتميز من الخارج بأخاديد بارزة، وهي ميزة فريدة لم نلاحظها على أي من قباب الجامع الأخرى، تثبت في أعلى هذه القبة سفود من البرونز مكون من ثلاث طبقات، ينتهي بهلال، تجدر الإشارة إلى أن ظهور الأخاديد على قباب المآذن ليس أمرا جديدا، فقد سبق و أن رأيناها في مآذن أخرى¹، و نذكر انه يحيط بالجوسق ممشى بعرض 1.50 متر.

تزّين أوجه البرج الرئيسي الثمانية زخارف متشابهة تتكون من عناصر معمارية و هندسية بسيطة، موزعة على خمسة قطاعات زخرفية، لا يمكن رؤية سوى وجه واحد من القطاع الأول، بينما تحجب باقي الأوجه خلف المباني المتصقة بالمئذنة .

¹ من هذه المآذن نذكر على سبيل : المثال مئذنة جامع الكنتية بمراكش ومئذنة جامع القيروان، عن ذلك - أنظر -

-Marçais·G. Manuel d'Art musulman· Edition Auguste Picard· Paris· 1926· P.399· Fig. 227.

Marçais·G. l'Architecture musulmane d'Occident· Arts et Métiers graphique· Paris· 1975· P.13·

Fig.1

ترزين كل واجهة من القطاعات الخمسة نطاق مستطيل غائر قليلا عن سطح المئذنة، يعرف هذا النطاق باسم "الحشوة"¹. تغطي الحشوة بعقد نصف دائري صلب ذو فصوص متراكبة تتقاطع مع بعضها البعض، يزين الجزء العلوي من كل حشوة شريط من البلاطات الخزفية يتميز القطاع الخامس بشريط من البلاطات الخزفية أوسع عرضا من باقي القطاعات يفصل طنفس بارز بعرض 70 سم بين القطاع الثالث و الرابع، مما يقسم البرج الرئيسي ظاهريا إلى قسمين، يضفي هذا التقسيم انطباعا بأن المئذنة مكونة من ثلاثة طوابق. (شكل 3 - الصورة 50)

و تعتبر المئذنة أهم عناصر المسجد- إضافة إلى بيت الصلاة و الصحن و المحراب- بما ضمته من عناصر معمارية عديدة و ما احتوته من زخارف ثرية²، و تمثل دورها الأساسي- عموما- في النداء إلى الصلاة، و قد أعطت للمسجد طابعا جدمميز، بل كان لها معنى و مغزى أوسع من مجرد رمز للحضور، و نادرة جدا في الحالات التي يخلو فيها مسجد من مئذنة³، و كانت تضاء بالمصاييح في شهر رمضان عند كل غروب، ثم تطفأ مع طلوع الفجر إيذانا ببدء يوم جديد من أيام الصيام⁴.

تميزت العمارة الرسمية في بلاد المغرب التابعة للخلافة العثمانية بانتشار المآذن المثمنة، و التي شكلت عنصرا فريدا يميّزها عن باقي أنماط العمارة الإسلامية، ظهرت هذه المآذن في مختلف مدن المغرب، مثل طرابلس و تونس و الجزائر و قسنطينة و عنابة و وهران و غيرها⁵.

¹ علي بوتشيشة، المرجع السابق، ص 192

² بد العزيز لعرج، "المنشآت الدينية المرابطية بمدينة ندرومة؛ المسجد الجامع،" مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد، 6 منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 148

³ Grabar، O. La formation de l'Art islamique، traduit de l'Anglais par Yves Thoraval، Flammarion، Paris، 2000، P.163 et 166

⁴ يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، ص 144

⁵ علي بوتشيشة، المرجع السابق، ص 193

و لم تقتصر ظاهرة المآذن المثلثة على بلاد المغرب التابعة للعثمانيين، بل ظهرت أيضا في بعض مساجد بلاد المغرب الأقصى التي لم تكن خاضعة للحكم التركي خلال تلك الفترة، و عرف المساجد في تركيا بشكل عام بمآذنها الأسطوانية الرشيقة ذات القمة المخروطية المدببة، و هو الشكل الذي لم ينتشر بكثرة في بلاد المغرب عموما و في الجزائر على وجه الخصوص¹.

تميزت المآذن في بلاد المغرب و الأندلس بشكلها المربع لفترة طويلة، حيث فرض هذا الشكل هيمنته على مختلف التصاميم المعمارية، مستوحى على الأرجح من جامع دمشق².

شهدت الجزائر خلال الفترة العثمانية تنوعا ملحوظا في أشكال المآذن، حيث ظهرت إلى جانب المئذنة المربعة التقليدية، أشكال أخرى مثل المئذنة المضلعة و المئذنة المركبة³.

ملحقات الجامع : يعد جامع الباشا أحد أبرز المعالم الأثرية في مدينة وهران الجزائرية، و يتميز بجماله المعماري الفريد و زخارفه الغنية، و من بين ملاحظه العديدة، تقع حجرة ضيقة يمين المحراب مباشرة، خصصت لوضع المنبر.

تميز هذه الحجرة بشكلها المميز، حيث تأخذ شكل حرف اللام الوسطية المقلوبة، و يعود وجود هذه الحجرة و مساحتها وموقعها إلى تقليد معماري كان سائدا في بلاد المغرب الإسلامي منذ القدم، و استمر العمل به حتى خلال الفترة العثمانية، و يرجح المؤرخون أنّ هذا التقليد ظهر لأول مرة في تونس خلال الفترة الأغلبية (القرنين التاسع و العاشر الميلاديين)، حيث نجد أمثلة عليه في جامع الزيتونة بمدينة تونس العتيقة، و جامع صفاق الكبير، و جامع المنستير، و غيرها من المساجد العريقة⁴.

¹ علي بوتشيشة، المرجع السابق، ص 193

² Marçais، G. L'Architecture...، P.209.

³ عن مآذن الفترة العثمانية بالجزائر وأشكالها المعمارية - أنظر - عزوق عبد الكريم، تطور المآذن في الجزائر، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2006، الفصل الرابع.

⁴ حسن عبد الوهاب، "الأثار الفاطمية بين تونس ومصر"، مؤتمر الآثار في البلاد العربية، العدد4، 18-29 ماي 1963م، ص 362

على عكس ما هو سائد في المشرق الإسلامي، حيث يثبت المنبر عادة إلى جانب المحراب¹، كان المنبر في بلاد المغرب يتميز بكونه غير ثابت في مكانه، ففي يوم الجمعة فقط يخرج المنبر من حجرته الخاصة بواسطة عجلات، ليوضع في مكانه المخصص أمام المصلين .

مبضأة جامع الباشا: تقع مبضأة جامع الباشا في الركن الجنوبي الشرقي منه، بين بيت الصلاة و المئذنة و هي تتكون من طابقين :

• الطابق الأرضي : مخصص لسبغ الوضوء، و يحتوي على أحواض ماء جارية و مناطق مخصصة للوضوء .

• الطابق العلوي : يمكن الوصول إليه عبر سلم من درجات قليلة، و يحتوي هذا الطابق على العديد من المرشات المخصصة للاغتسال، بالإضافة إلى أماكن مخصصة لقضاء الحاجة .

تعدّ هذه المبضأة حديثة نسبياً، حيث تمّ بناؤها بعد الاستقلال²، و يظهر وجودها اهتماماً كبيراً بنظافة المصلين و راحتهم، ممّا يعكس حرص القائمين على إدارة المسجد على توفير أفضل الخدمات للمصلين .

البئر : تقع في نهاية الرواق الشمالي الغربي لصحن جامع الباشا حجرة صغيرة حديثة المنظر، تضم بداخلها بئراً قديماً غير مستخدم حالياً، و يصل عمق هذا البئر إلى حوالي خمسة أمتار³، و بينما لا تتوفر معلومات دقيقة عن تاريخ بناء هذا البئر، إلا أنّنا نستطيع أن نجزم بأنّه حفر لتزويد المسجد بالماء .

¹ حسن عبد الوهاب، "فتوح الذوق الإسلامي في الفنون؛ خصائص العمارة الإسلامية مجلة، " الأزهر، المجلد 24، الجزء 1، محرم / 1372 هـ سبتمبر، 1952م، ص 85

² علي بوتشيشة، المرجع السابق، ص 195

³ علي بوتشيشة، المرجع نفسه، ص 195

تقع غرفة أخرى من ملاحق جامع الباشا في نهاية الرواق الجنوبي الشرقي، تتميز هذه الغرفة بكونها ضيقة و غير منتظمة الشكل، وتلاحظ فيها امتداد طويلاً واضح . و بينما لا تتوفر معلومات مؤكدة حول تاريخ بناء هذه الغرفة، إلا أنّ مظهرها يوحي بأنها قديمة نسبياً، وأنها ربّما بنيت في نفس الفترة التي بني فيها رواقا الصحن و بالنسبة لوظيفة هذه الغرفة، فإنّ الترحيح الأكبر هو أنّها كانت تُستخدم كمخزنٍ لتخزين بعض أثاث المسجد، مثل السجاد و المصاييح و غيرها من الأدوات .

تقع غرفة أخرى من ملاحق جامع الباشا خارج الركن الشمالي الشرقي لبيت الصلاة، أي إلى الجنوب من الغرفة التي تمّ ذكرها سابقاً، تتميز هذه الغرفة بارتفاعها عن أرضية الجامع بحوالي 2.50 متر، ويمكن الوصول إليها عبر سلم يتكون من 17 درجة ذات شكل أقرب إلى المربع .

و بينما لم تتمكن من تحديد وظيفة هذه الغرفة بشكل قاطع، إلا أنّنا نرجّح أنّها حديثة نسبياً، وأنها ليست من الملحقات الأصلية للجامع .

التغييرات و التجديدات التي مست الجامع : مقارنة مع جامع محمد بن عثمان الكبير الذي مسته تغييرات كبيرة ؛ فإن جامع الباشا و لا سيما بيت الصلاة حافظ على جانب كبير من أصالته، و لم يطله التغيير إلا في أجزاء محددة، و من أبرزها المدخل الواقع على يمين مدخله الرئيسي، و الذي يكون قد أضيف في السبعينيات من القرن الماضي حسب ما أكده قيم الجامع، و داخل الصحن تمّ حفر بئر في أقصى الرواق الأيمن ثم سور بجدارين، و فتح باب في الجدار المقابل للصحن .

بالإضافة إلى التغييرات التي ذكرتها سابقاً، تم تشييد ميضأة حديثة في الركن الجنوبي الشرقي خلف بيت الصلاة . تتميز هذه الميضأة بكونها: تتكون من طابقين اثنين كما أنّها بنيت بطريقة بسيطة بحيث لا تتناسب مع الشكل المعماري الفريد للجامع، و ملتصقة تماماً بالملئذنة مما قد يؤثر على المظهر الجمالي للجامع .

بالنسبة لبيت الصلاة لم يمسه التغيير تقريبا إلا حنية المحراب و واجهته، و التي سبق الإشارة إليها على انها لبست ببلاطات حديثة، إلا أن أهم تغيير حدث و بعد البحث و التدقيق في المخططات والرسومات القديمة هو الصحن وما يتصل به من المدخل الرئيسي الحالي و النافورة و غيرها، وما ترتب عن ذلك من إزالة لبعض ملحقات الجامع الأصلية كالرواق الجانبي و الميضأة اللذين كانا يتقدمان بيت الصلاة، و هي تغييرات حدثت في بداية الاحتلال¹.

استنادا إلى مخططات و الرسومات القديمة لم يكن للجامع صحن بالمعنى المعماري المتعارف عليه بل كان عبارة عن فناء مسور له مدخل يقع مقابل مدخل الصلاة تماما، و على يساره تتواجد ست حجرات صغيرة يتقدمها رواق لكل منها نافذة تشرف على الخارج، كما يوجد مقابل هذه الحجرات ميضأة معدة لسبغ الوضوء و للشرب أيضا، تعلوها قبة مثمثة محاطة برواق له ثمانية عقود منكسرة متجاوزة تحملها أعمدة أسطوانية ذات تيجان، و هي مزودة من جميع الجهات كما يبدو بمصاطب حجرية لجلوس المتوضئين، وأمام الميضأة كانت توجد نافورة للمياه .

¹ علي بوتشيشة، المرجع نفسه، ص 196

الأشكال الزخرفية بجامع الباشا¹:

الشكل	الصورة	الموضع الزخرفي	الألوان	طريقة التنفيذ	مكان الزخرفة	الأشكال الزخرفية
10-4	51	أنصاف مراوح نخيلية			إطار مدخل بيت الصلاة + المدخل الرئيسي	زخرفة جصية
5	52	معينات و أوراق			مبنى الميضاة	
6	53	معينات تشغلها أنصاف مراوح	الأصفر، الأحمر، الأخضر	التلوين	المنبر /العقد فتحة المدخل	زخرفة خشبية
	54	طبق نجمي	الأصفر، الأحمر، الأخضر	التلوين	المنبر / حشوات الريشتين	
	55	زهرات و انصاف مراوح	الأصفر، الأحمر، الأخضر	التلوين	المنبر / القببية	
7	56	مضلع ثماني و العلوي حلزوني (طرارز كورنثي)			أعمدة الدكة	زخرفة رخامية

¹ من إنجاز الطالب

	57				لوحة تذكارية بتأسيس الجامع	
8	58	معين-دائرة بأشكال بيضية -أوراق بسيطة	الأصفر الجوري -الأخضر - الأزرق الغامق	-البنبي الفاتح - الأبيض	القبة التي تتقدم المحراب	البلاطات الخزفية
9	59	زهرة القرنفل محورة -ورقة محورة مفرغة	الأصفر بدرجتين - الأزرق الزهري- الأخضر الفاتح		واجهه العقود البائكة المحيطة بالصحن	

يعد جامع الباشا أحد المعالم الأثرية والتاريخية البارزة في وهران، و هو الوحيد من بين المساجد الأثرية المتبقية في المدينة الذي بني على الطراز العثماني المستورد، يتضح هذا الطراز بشكل خاص في قاعة الصلاة ذات القبة المركزية المحاطة بالقبيبات من جميع الجهات، و كذلك في مئذنته متعددة الأضلاع لذا لا يختلف هذا المسجد كثيرا من حيث الخصائص عن المساجد الأخرى ذات الطراز العثماني التي بنيت في نفس الفترة في بقية مدن الجزائر، و قد حافظ هذا المسجد على طابعه الأصيل من حيث تصميمه المعماري و زخارفه الفنية .

خاتمة

في ختام دراستنا لموضوع الزخارف العمائرية بالجزائر خلال العهد العثماني و التي مست أربع مواد زخرفية أساسية، تمثلت في الجص و الرخام و الخشب و البلاطات الخزفية، نشير إلى أننا قمنا باختيار عينة للدراسة بعد عملية التنقل الميداني إلى المعلم الأثرى بمدينة وهران، فضلا عن الاطلاع على دراسات تخص مدنا أخرى و معالم أثرية تنوعت بين العمائر الدينية بما فيها المساجد و المدارس و الزوايا و الأضرحة، و عمائر مدنية بما فيها القصور و المساكن و الحمامات، حاولنا فيها تحديد النماذج المتميزة من كل نوع من المواد المذكورة دون الدخول في التكرار لنفس الأشكال و الأنماط و الزخارف، لكون الدراسة تهدف إلى تقديم دراسة تنميطية لمختلف الزخارف ذات الاستعمال العمائري على تلك المواد، و قد أسفرت الدراسة عن عدة نتائج، من أبرزها:

- تلعب الزخرفة دورا فعالاً في تعزيز هوية الثقافة الجزائرية العربية الإسلامية.
- يتجلى روح الزخرفة الإسلامية في مسجد الباشا بوهران، مما يجعله تراثاً حضارياً يعكس الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة خلال فترات بناء المسجد .
- تنوع المواد المستخدمة في تنفيذ العناصر الزخرفية، مثل الحجر، الرخام، الجص، والخشب.
- تنوع الزخارف بين نباتية، هندسية، وخطية، لتحقيق غنى جمالي في مساحات المسجد، مع استخدام مفردات ووحدات زخرفية متنوعة مثل الزهرية، الغصنية، و النجمية.
- تحقق الزخرفة البعد الوظيفي والجمالي في آن واحد.
- تتميز الزخارف المتنوعة التي تزين المسجد بقدرتها على إحداث جذب بصري من حيث الشكل، اللون، والخامة، وغيرها من المؤثرات، لما تحتويه من حركة داخلية في بنية العناصر.

و أخيرا يمكن القول أننا سعينا جاهدين لتقديم دراسة شاملة لمختلف المشغولات والأعمال الفنية، بما في ذلك تلك المصنوعة من الجص و الخشب و الرخام و البلاط الخزفي، بهدف إنشاء كتالوج يبرز التنوع الفني الكبير الذي شهدته الزخارف المعمارية في الجزائر خلال العهد العثماني. كما تناولنا أهم المصادر الفنية التي تأثر بها الفنانون في الجزائر، واستعرضنا الأساليب الفنية والمواضيع والزخارف التي زينوا بها مبانيهم. ومع ذلك، يظل الموضوع بحاجة إلى مزيد من الدراسات لدعمه و إثرائه لتغطية جميع جوانبه المتبقية.

ملحق الصور والأشكال



صورة (2): جدران جامع سوق الغزل



صورة (1): جدران جامع سوق الغزل



صورة (4): قبة قصر حسن الباشا



صورة (3): قبة جامع الجديد



صورة (6): قبة سيد الكتاني



صورة (5): قبة سوق الغزل



صورة (8): محراب جامع الجديد



صورة (7): قبة جامع عين البيضاء



صورة (10): محراب سيدي الكتاني



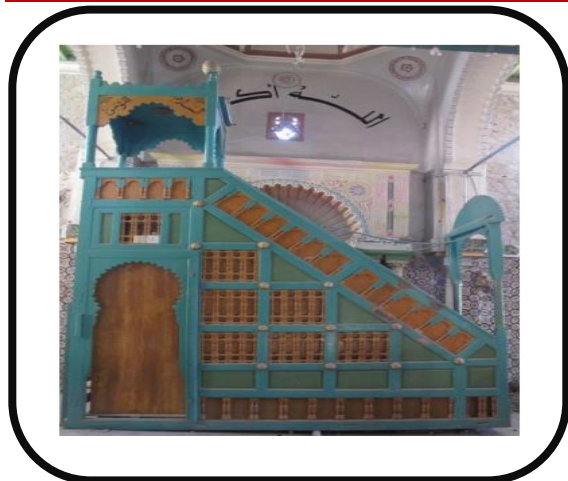
صورة (9) محراب سوق الغزل



صورة (12): منبر جامع الجديد



صورة (11): محراب عين البيضاء



صورة (14): منبر جامع الأخضر



صورة (13): منبر سوق الغزل



صورة (16): دكة جامع صفر



صورة (15): منبر جامع صالح باي



صورة (18): دكة جامع الأخضر



صورة (17): دكة جامع الجديد



صورة (20): سقف قصر حسن الباشا



صورة (19): دكة جامع سيد الكتاني



صورة (22): سقف قصر الباي



صورة (21): سقف قصر حسن الباشا



صورة (24): سقف قصر جلول



صورة (23): سقف دار جلول



صورة (26): أعمدة قصر مصطفى باشا



صورة (25): أعمدة قصر حسن الباشا



صورة (28): أعمدة صالح باي



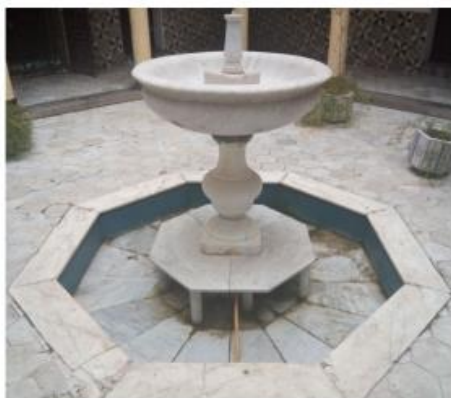
صورة (27): أعمدة صالح باي



صورة (30): نافورة دار عزيزة



صورة (29): أعمدة احمد باي



صورة (32): نافورة قصر الرايس حميدو



صورة (31): نافورة دار عبد اللطيف



صورة (34): نافورة قصر احمد باي



صورة (33): نافورة قصر الباي



صورة (36): حوض حسن الباشا



صورة (35): حوض قصر البارادو



صورة (38): بلاط سوق الغزل



صورة (37): حوض قصر احمد باي



صورة (40): بلاط قصر احمد باي



صورة (39): بلاط مدرسة سيد الكتاني



صورة (42): بلاط جامع معسكر



صورة (41): بلاط الضريح سيد عبد الرحمان



صورة (44): سطح جامع الباشا



صورة (43): بلاط جامع الأخضر



صورة (46): جامع الباشا



صورة (45): جامع الباشا



صورة (48): قبة جامع الباشا



صورة (47): دكة جامع الباشا



صورة (50): منئذنة جامع الباشا



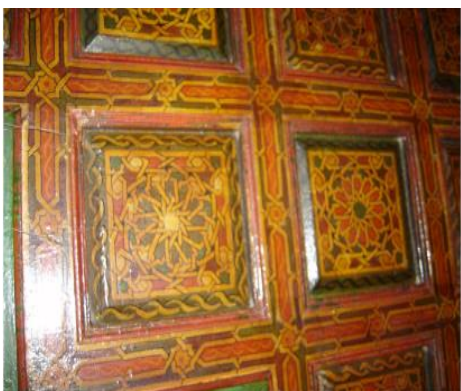
صورة (49): محراب جامع الباشا



صورة (52): الميظأة جامع الباشا



صورة (51): زخارف جصية إطار المدخل جامع الباشا



صورة (54): المنبر - الحشوات جامع الباشا



صورة (53): المنبر - العقد جامع الباشا



صورة (56): أعمدة جامع الباشا



صورة (55): المنبر - القبية جامع الباشا



صورة (58): قبة محراب جامع الباشا



صورة (57): لوحة تذكارية



صورة (60): الميضة



صورة (59): واجهة العقود



صورة (62): منبر جامع الباشا



صورة (61): نافورة جامع الباشا



صورة (64): بلاطات جامع الباشا



صورة (63): عقود بيت الصلاة



صورة (66): مدخل رئيسي



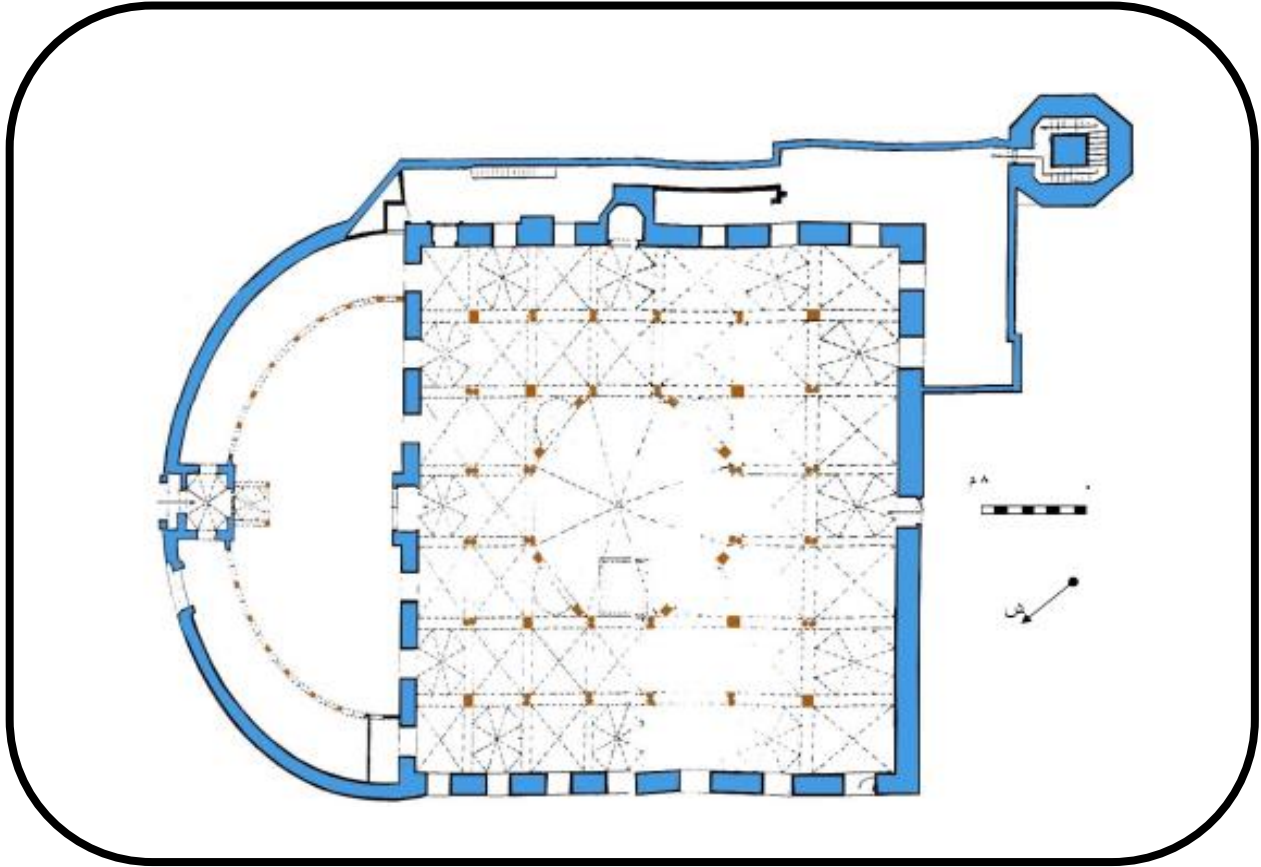
صورة (65): بلاطات جامع الباشا



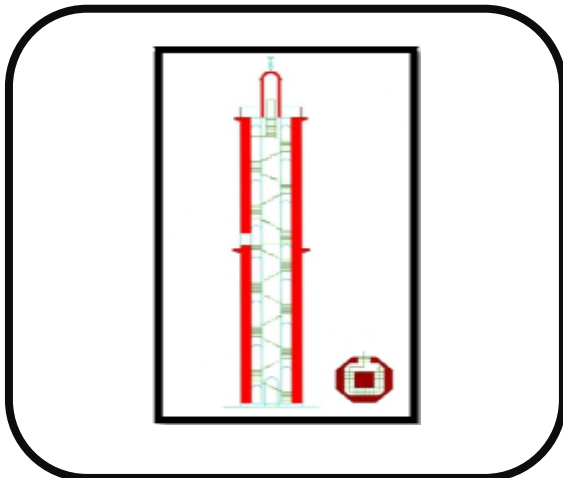
صورة (68): مدخل بيت الصلاة



صورة (67): مدخل ثانوي



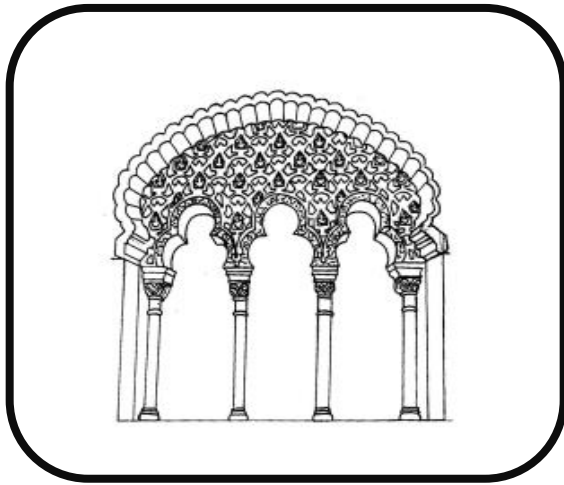
شكل (1) : مخطط جامع الباشا (عن معروف بوروية بلحاج-بتصرف)



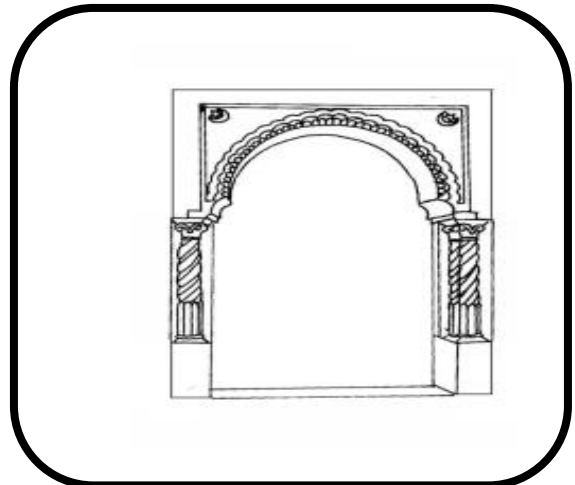
شكل (3) : مقطع طولي لمئذنة جامع الباشا (عن علي بوتشيشة)



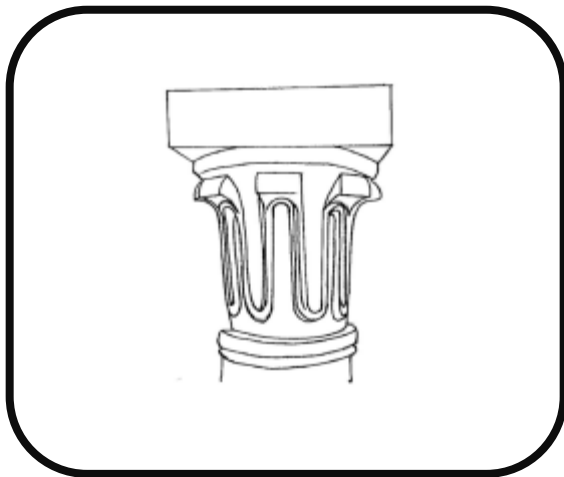
شكل (2) : مخطط جامع الباشا سنة 1842م (عن علي بوتشيشة)



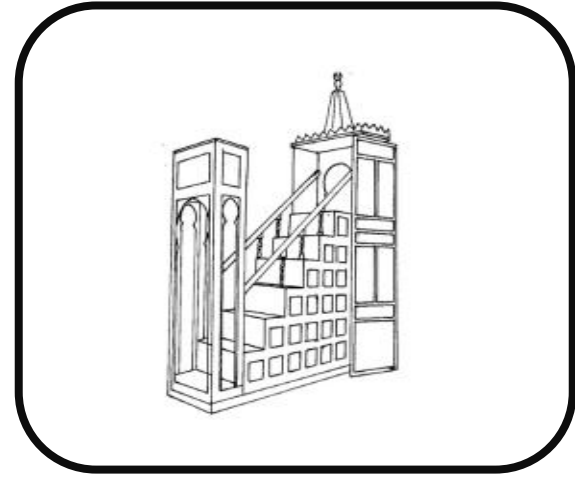
شكل (5): شكل الزخرفة الجصية لمبنى الميضة



شكل (4): شكل اصرار مدخل بيت الصلاة



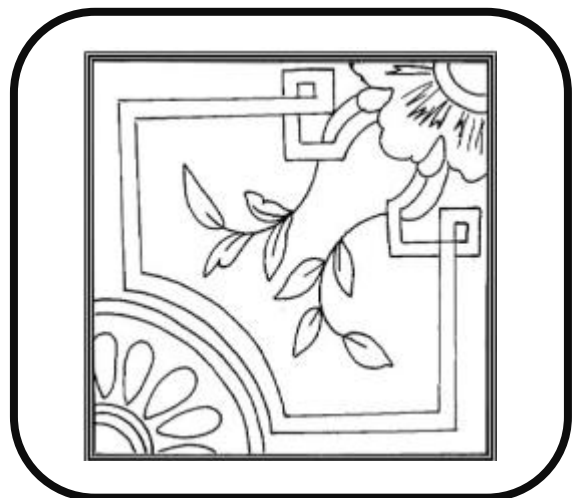
شكل (7): شكل أعمدة



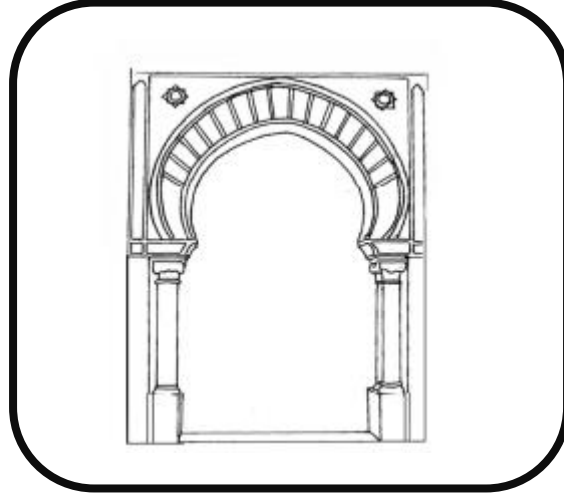
شكل (6): شكل المنبر



شكل (9): شكل بلاط واجهة العقود



شكل (8): شكل بلاط القبة



شكل (10): شكل مدخل الرئيسي

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر :

- ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش، لسان المقال في النبا عن النسب و الحسب و المال، تع : أبو قاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.
- ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1999.
- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 12، 1956، دار بيروت للطباعة و النشر.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، بيروت الطبعة الأولى، 1998، ج4، ج3 .
- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500 م - 1830 م)، الجزء 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.
- حمدان خوجة، المرأة، تر: محمد العربي الزبيري، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر.
- عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط1، 2000م.
- مبارك محمد الهلالي، تاريخ الجزائر القديم و الحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، 1964م.
- مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم مصطلحات و الألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996 م.
- ويليام سبينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع : عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، دط، 2007م.
- ويليام شارل، مذكرات ويليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر (1816 م - 1824 م) ، تع : إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982م.

قائمة المراجع :

- ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق : المهدي البوعبدلي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2013م
- أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحرير و تقديم : محمد بن عبد الكريم، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2004م
- أحمد توفيق المدني ،حرب ثلاثمئة سنة بين الجزائر إسبانيا (1492 – 1792) ، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع ، الجزائر ، دون طبعة ، دون سنة.
- احمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر (1766م – 1791م)، (مسيرته - حروبه - أعماله - نظام الدولة و الحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986
- أحمد توفيق المدني، هذه الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط
- أحمد شريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار، تحقيق : أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980،
- أرزقي شويتام، طبعة الحكم العثماني في الجزائر (1519 م – 1830 م)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، مجلة التاريخ المتوسطي، مجلد 4، العدد 1، 2022
- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل انهياره (1800 م – 1830 م)، دار الكتاب العربي، ط1، 2001
- أسماء ابلاي، التحرشات الاسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 16م، قراءة في الدوافع و النتائج، مجلة الروافد للبحوث و الدراسات، العدد الثاني، جامعة غرداية، 2018
- الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، الجزء الأول، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م

قائمة المصادر و المراجع

- الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في اخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن 19 تج: يحي بوعزيز ج1، دار الغرب الإسلامي.
- أوزتونا يلمار، تاريخ الدولة العثمانية، تر:عدنان محمد سلمان، ط1، ج 1، منشورات مؤسسة فيصل، إسطنبول، 1688
- جون وولف، الجزائر و اروبا (1500 م - 1830 م)، تر: أبو قاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار الرائد، 2009
- حسن الوزان، وصف إفريقيا مج، تر:محمد عجمي ومحمد الأخضر، ط2، 1983، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان
- حسن عبد الوهاب، "الآثار الفاطمية بين تونس ومصر، " مؤتمر الآثار في البلاد العربية، العدد4، 18-29 ماي 1963م
- حنان عبد الفتاح مطاوع، الفنون الإسلامية الإيرانية و التركية، الإسكندرية ن ط 1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، 2010
- زكي محمد حسين، فنون الإسلام، مكتبة العرب، القاهرة، ط 1، 1948
- سعد بدر الحلواني ، التاريخ الافريقي الحديث، دار الكتب المصرية، مصر، ط 1999، 1
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ؛ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
- شوقي عطا الله ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) ، مكتبة انجلو المصرية ، القاهرة، طبعة الأولى ، 1977
- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514 / 1830)، دار همومه للطباعة و النشر و التوزيع، 2012
- عائشة عطاش واخرون، الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها، المركز الوطني للدراسات و البحث، الجزائر، 2007
- عبد الحميد بن أشنهو، دخول الاتراك العثمانيين إلى الجزائر، المطبعة الشعبية، د ط، د س

قائمة المصادر و المراجع

- عبد العزيز فيلاي ، تلمسان في العهد الزياني ، موفم للنشر و التوزيع، ج 1، د.ط، الجزائر، 2002
- عبد القادر فكايير، الغزو الإسباني على السواحل الجزائرية وأثارها 1792-1505م، د ط، دراسة الاثار السياسية و الاقتصادية و الثقافية على الجزائر، دار هومة للنشر و التوزيع و الطباعة، الجزائر، 2012م .
- عبد الله شريط، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البحث، قسنطينة، ط 1، 1965
- عبد الله عنان، الاثار الباقية في اسبانيا و البرتغال (دراسة تاريخية اثرية)، مطبعة التاليف و الترجمة و النشر ، ط1912، 2
- عزوق عبد الكريم، تطور المآذن في الجزائر، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2006، الفصل الرابع .
- عزيز سامح التري، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1989م .
- عزيز سائح ألتر، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1409-1989،
- علي مسعود البلوش، مشروع تنظيم و إدارة المدينة القديمة إطرابلس، نماذج من الفنون و العمارة الإسلامية، الزخارف الجصية، المطابع الدولية، لبنان، ط1، 1998
- عمار بوحوش، التاريخ السياسي في الجزائر من البداية لغاية 1692، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997
- عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانة، ط 1، 2002
- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832م - 1837م) ن تر، أبو العيد دودو، دط، وزارة الثقافة، 2007
- لطيفة بشاري، بن عميرة، علاقة بني عبد الواد (بنو زيان -تلمسان) ببني مرين (المغرب) بين القرن 16/13م، جامعة الجزائر 2، أفكار و آفاق، العدد 3 ، 2012
- مبروك مهيرس، المساجد العثمانية بوهران و معسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2009

المجلات و الموسوعات :

- توامة نعناعة، تطور فنّ الزخرفة العمائرية بالجزائر خلال العهد العثماني " مساجد قسنطينة أنموذجا ط، مجلة جماليات، المركز الجامعي أفلو، الجزائر، المجلد 07، العدد 01، 2020
- حسن عبد الوهاب، "فتوح الذوق الإسلامي في الفنون؛ خصائص العمارة الإسلامية مجلة، " الأزهر، المجلد 24، الجزء 1، محرم / 1372 هـ سبتمبر، 1952م
- حميد ابن حدوش، الواقع الصحي للجزائر العثمانية من خلال المصادر الأروبية، مجلة الافاق فكرية، جامعة احمد بن بلة وهران ن الجزائر، المجلد 09، العدد 02، 2021
- رضوان شافو - عمر مقدم، نظرة حول الأنشطة الاقتصادية في الجزائر العثمانية، مجلة قيس للدراسات الأندلسية و الاجتماعية، جامعة الشهيد لخضر بالوادي، الجزائر، المجلد 01، العدد 01
- زهية دياب، وردة برويس، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني، قراء سيوسو تاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد 21، العدد 01، 2021
- عبد العزيز لعرج، "المنشآت الدينية المرابطية بمدينة ندرومة؛ المسجد الجامع، " مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 6 منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004-2005
- علي بوتشيشة، جامع الباشا بوهران، مجلة عصور الجريدة، جامعة الجزائر 2، المجلد 7، العدد 27، 2017-2018
- محمد السعيد عقيب، دور خير الدين بربروس في تثبيت الوجود العثماني في الجزائر، مجلة البحوث و الدراسات، العدد 13، جامعة الوادي، الجزائر، 2012
- محمد الطيب العقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دط، دار الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009
- محمد العربي الزبيرى، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دط، 1972م

قائمة المصادر و المراجع

- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق : المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، / 1399هـ 1979م
- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1399هـ / 1979 م،
- محمد حمزة إسماعيل، العمارة الاسلامية في أوروبا العثمانية، المجلد الأول، جامعة الكويت، ط 1، 2002
- محمد خيرى فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني على الاحتلال الفرنسي، ط 1، 1969
- محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر و دور الاخوة بربروس 1512-1543، الاصاله للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 1، 2012،
- محمد قواسم (الأوضاع الاقتصادية في وهران في العصر الوسيط)، (من خلال نصوص الرحالة العرب)، العدد، 06 مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،، 2010.
- محمود تامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 117 / 118، دمشق، 2012
- مطاوع حنان عبد الفتاح، الفنون الإسلامية في نهاية العصر الفاطمي، دار الوفاء لندنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط1، 2011
- مؤيد محمود المشهداني، سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي، 1518-1830م، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية، المجلد 5، العدد 16، جامعة تكرت، 2013م.
- ناصر الدين السعدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، دار البصائر، ط3، 2012
- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
- ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1986

قائمة المصادر و المراجع

- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، ط2 منقحة، 2009
- نفولاي افانوف، الفتح العثماني للاقطار العربية (1516 / 1574)، تر : يوسف عطا الله، لادار الفرابي، بيروت، ط1، د س
- يحيى بوعزيز، وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 2، 2009م.
- يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الاسلامية، مكتبة مدبولي، مكتبة مدبولي، ط 1، القاهرة، ج2، 1999م.

قائمة المصادر و المراجع

المذكرات و الرسائل الجامعية :

- أرزقي شويتم، المجتمع الجزائري و فعاليته (1519م – 1830 م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 2006/2005
- امينة زهير- وردة عززي، الوضع الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني (مرحلة الدايات 1671-1830)، مذكرة الماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر ، 2022/2021
- باية بن كحلة، المؤثرات الثقافية في المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة خيضر بسكرة، الجزائر 2019/2018
- بخليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير و قسم التاريخ، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2007/2006
- حمدوش زهيرة، الزخارف العمائرية بالجزائر خلال العهد العثماني (دراسة أثرية)، معهد الثار، جامعة الجزائر 2، أطروحة الدكتوراه، 2017/ 2016
- خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار 2007-2008م ،
- زينب رزيوي ، العلوم و المعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (07 هـ – 09 هـ / 13 م – 15 م)، أطروحة دكتوراه :تاريخ الوسيط الإسلامي ، كلية العلوم النسانية و الاجتماعية ، جامعة سيدي بلعباس ، 2016/2015
- شارف رقية، تاريخ الجزائر في العهد العثماني (1519م – 1830 م)، المدرسة العليا للأساتذة طاب عبد الرحمان، الاغواط، الجزائر، مطبوعة بيداغوجية، تخصص تاريخ، قسم تاريخ و جغرافيا، 2023/2022

قائمة المصادر و المراجع

- طاهر التومي، العلاقات الجزائرية الاسبانية ما بين القرنين 16 و 18 على ضوء المصادر المحلية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الحديث و المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2015/2014
- عبد الرحمان نواصر، تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر خلال عهد الدايات (1246 م / 1830 م) مقارنة من خلال الوثائق، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة غرداية، 2017 / 2018
- عبد الرحمان نواصر، تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر خلال العهد الدايات (1246م - 1830م) مقارنة من خلال الوثائق، أطروحة دكتوراه، تخصص التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة غرداية، 2017/2018
- عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2014
- عبد الله زاهر عطية، الصناعات الخشبية المعمارية بمدينة جدة في العصر العثماني 1517م /1916م، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الحضارة، قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، جامعة ام القرى، السعودية، 2001
- عتو بلبروات، الباي محمد الكبير و مشروعه الحضاري : 1797-1779م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002م.
- عتو بلبروات، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري: 1797-1779م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002م، ص ص 65 66
- فاطمة الزهراء سالم، التنظيم الاجتماعي في الجزائر أثناء العهد العثماني (1750 م -1830 م)، رسالة ماستر، جامعة بوضياف المسيلة، الجزائر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 2020/2019
- فتيحة فرحي، المساجد و العمران في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2016/2017

قائمة المصادر و المراجع

- هاجر بومدين، عمر بن عطا الله، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية للجزائر نهاية العهد العثماني (1792م -1830م)،مذكرة ماستر، تخصص المغرب العربي المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة احمد دراية أدرار،الجزائر، 2022/2021
- هيام بريقلي، بريقاي فاطمة الزهراء، الفن في الجزائر أواخر العهد العثماني، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 2022/2021

قائمة المصادر و المراجع باللغة الأجنبية :

- Benkada Saddek , Espace urbain et structure sociale à Oran de 1792 à 1831, Mémoire de diplôme d'étude approfondies, université d'Oran, Institut des sciences sociales, Oran, 1988
- Derrien Isidor , Les Français à Oran , depuis 1830 jusqu'à nos jours, Imprimerie J. Nicot , Aix , 1886 , P.29
- Derrien Isidor , Les Français à Oran, depuis 1830 jusqu'à nos jours, Imprimerie J. Nicot, Aix,1886
- Ernest mercire - histoire de constantine - J - marle et F biron imprimeurs – éditteurs costantine 1903
- Fey , Henri-Léon , Histoire d'Oran ; avant, pendant et après la domination espagnole , Edition Dar-el-Gharb, Oran, 2002, P. 283./Pièsse,L. Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie Librairie Hachette , Paris , 1855, P. 283
- Fey ,Henri-Léon, Histoire d'Oran ; avant, pendant et après la domination espagnole, Edition Dar-el-Gharb, Oran, 2002, P. 283./Pièsse,L. Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, Librairie Hachette, Paris, 1855
- Grabar, O. La formation de l'Art islamique, traduit de l'Anglais par Yves Thoraval, Flammarion, Paris, 2000
- Marçais,G. l'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiers graphiques, Paris,1975
- Walsim esterhazy- de la domination turque dans l'ancienne régence d'alger- librairie de charles gosseli - paris -1840

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	الفهرس
	بسملة
	شكر و عرفان
	الإهداء
أ	مقدمة
5	الفصل الأول : نظري (معالم الوجود العثماني في الجزائر)
6	مبحث 1 : الوجود العثماني في الجزائر
6	الجزائر قبل الوجود العثماني
9	قيام الحكم العثماني
11	اهم مراحل التواجد العثماني في الجزائر
16	مبحث 2 : اهم المجالات التي تآثرت بالوجود العثماني
16	آثر الوجود العثماني من التراث و الإرث الحضاري في الجزائر
21	أوضاع المجتمع الجزائري (اجتماعيا - اقتصاديا- صحيا - ثقافيا)
36	العلاقة الخارجية بالدولة الحديثة
38	مبحث 3: الأشكال الزخرفية للعمارة الإسلامية في الجزائر
39	الزخرفة العمائرية - أنواعها
44	دور الوجود العثماني في ثرية الزخرفة العمائرية في الجزائر
46	بعض نماذج التأثر (منها الزخرفة)
50	الفصل الثاني : تطبيقي (دراسة أثرية و معمارية لجامع الباشا بوهران)
51	مبحث 1:وهران ابان الحكم العثماني
58	مبحث 2:جامع الباشا
65	مبحث 3: دراسة أثرية فنية لجامع الباشا
84	خاتمة
87	ملحق الصور و الأشكال
103	قائمة المصادر و المراجع
115	فهرس الموضوعات

ملخص

شهدت الجزائر خلال فترة العثمانية تغييرات جذرية في السياسة و الاقتصاد و المجتمع، و تأثيرها على الحياة الثقافية و الفنية و المعمارية، و قد انعكس هذا بوضوح على الزخارف الفنية و خاصة الزخرفة العمائرية. فيعدّ جامع الباشا بوهران أحد المعالم البارزة، حيث يمثل نموذجا مميزا للمساجد التي بنيت على الطراز العثماني، و محافظته على طابعه الأصيل في التصميم المعماري و الزخارف الفنية.

الكلمات المفتاحية : الأشكال الزخرفية، الزخرفة العمائرية، الدولة العثمانية، جامع الباشا، وهران .

summary

During the Ottoman period, Algeria witnessed radical changes in politics, economics, and society, and their impact on cultural, artistic, and architectural life, and this was reflected in artistic decorations, especially architectural decoration. The Pasha Mosque in Oran is considered one of the most prominent landmarks, as it represents a distinctive model of mosques built in the Ottoman style, preserving its original character in architectural design and artistic decorations.

Keywords: decorative forms, architectural decoration, the Ottoman Empire, the Pasha Mosque, Oran.

résumé

Durant la période ottomane, l'Algérie a connu des changements radicaux dans la politique, l'économie et la société, ainsi que leur impact sur la vie culturelle, artistique et architecturale, et cela s'est reflété dans les décorations artistiques, notamment architecturales. La mosquée Pacha d'Oran est considérée comme l'un des monuments les plus importants, car elle représente un modèle distinctif de mosquées construites dans le style ottoman, conservant son caractère original dans la conception architecturale et les décorations artistiques.

Mots clés : formes décoratives, décoration architecturale, Empire ottoman, mosquée Pacha, Oran.